

كتاب الشوف

فكرة أحمد عبد الجواد
كتابة (جماعة ممن عشقوا الله)



مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

كتاب الشوف

تأليف : جماعة ممن عشقوا الله

الإخراج الداخلي : أحمد حليبي

تصميم الغلاف : محمود حميدو

تدقيق لغوي : أيمن مسعود

رقم الإيداع: ٢٠١٦ / ٠٣٩٣٢

الترقيم الدولي: 978-977-6598-04-1

الطبعة الأولى: 2016

إشراف عام : أحمد عبد الجواد



مؤسسة عابر للنشر والتوزيع



01111883712 - 01007677910



3aberorg@gmail.com



www.3aber.org



عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

الإهداء
إليك وحدك... مرينا ولك المحب

الشوف.. رضاه اللامنتهي

بقلم: أحمد عبد الجواد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الشوف ليست مجرد كلمة طرأت على ذهني فهاتفت من ارتاح لهم قلبي، لأخبرهم أي بصدد تجميع عدد من المقالات للكتابة عن تجربة ذاتية جدًا، فَلَبَّوْا النداء.. الشوف حالة من نور، مقام بسطه الله لفئة من عباده، فنظروا إلى الجبل، ورأوا ما أراد الله لهم أن يروه.

حين تريد الحكيم عن موقف أراك الله إياه، ستتعطل الأقلام، ويقف العقل عاجزًا، فقط القلب هو من يستطيع أن يروي تلك المعاني، لعلي أحدثكم عن الدراويش الذين قابلتهم فأخبروني وأخبرتهم، أو عن المجذوبين، أو عن أهل الله، لعلي أتحدث إليكم عن أهل الحضرة، أو لأترك كل ذلك جانبًا.. سأحدث عن النور كما أفهمه.

النور هو المصدر الكلي لمن أراد «الشوف» وهو نور السماوات والأرض، لنوره مشكاة القرب، والقرب في مصباح الأنس، والمصباح في زجاجة الرحمت، والزجاجة كوكب من رضاه، والكوكب يتقد من شجرة العشق، فلا هي شرقية المحبة، ولا غربية التجلي، هو الله.

لاسمة الأزلي خواص، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا، وتجمعت في «هو» سبحان «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ» سورة النور ٣٥.

فمن أراد أن يُلبسه الله لباس العز والهيبة والقوة والمنعة، فعليه بأسمائه، ومن أراد الحب خالصًا فعليه باسم الأسماء: لفظ الجلالة.. المهيب.. القريب.. الجامع: الله.

ولطيب مسك الكلام عن المولى رائحة ما لها مثيل، عقب نبوة، أو نفحات الرحمة في الكعبة، أو غبار الملائكة، أو عطور الجنة، روائح شتى تختلط بك، وترتبط دائماً بالمغفرة والرزق الكريم، فيا أيها الذين أرادوا الوصال، استأنسوا بجميل لطيفٍ عظيمٍ رهيفٍ أنسُهُ، فلأنس الله وجيب للقلب لا يعرفه إلا من أحب.

وممن أحب رجال ساروا إليه حتى وفّاهم حسابهم، لا ينقص شيئًا من رحمات بره، فليس عليكم جناح أن تتحدثوا عن الله بحب..

«الله» لفظ الجلالة الأول، فيه سر عظيم، فليس له مثيل، ولا نظير، ولا شبيه، قد تجلى في ملكه وملكوته، وكلُّ له طائعون.

الله هو مصدر الحب، وهو أصل كل خير، فهو الأول بعلمه، والآخر بقدرته، والظاهر بملكه، والباطن بملكوته، والغافر برحماته، تجلى في الأشياء، فما من صنيع إلا ويخبرك أنه: «قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد».

حين تتحدث عن الشوف، ستزى طيورًا خضراء محلقة، روحًا هفهافة، أولادًا مخلدين، حورًا عين، فاكهة دانية قطوفها، سعادة مستمرة، فلا تعب ولا وجع ولا مرض، سلامهم الحمد، كلامهم الذكر، كل ما امتنعوا عنه للوصول فقد أوجبه لهم في جنات النعيم بما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر..

الشوف هو جنة الله في الأرض، وهو من البشارات لجنة عرضها السماوات والأرض، بل هي أكبر، فهذا عرضها فما بالك بطولها، وارتفاعها، ودرجاتها...؟! طبقات بعضها من فوق بعض، حيث الأبيض في كل مكان، والخير اللامنتهي.

ترى فيها الله مثل القمر في تمامه، لا تضامون في رؤيته كما أخبر المحب الأكبر صلى الله عليه وسلم، لا تسؤل نفسك لك أمر سوء، بل تفكر في الطاعة والجمال وتعيش في الجميل أبدًا.

فيها يحدثنا الله بلغة الحب التي يفهمها كل الناس، فلا أحد ينكر قوة الحب، والحب دائماً متعلق بالرحمة، والكل موصول بالله، مرتبط به، فهو الرحمن الرحيم، امتلك كل أسباب الرحمة وصنعها وجعلها من أسمائه، فتجلى من رحم.

وجلّ من وهبنا نزول وادي الرحمة المقدس، فحينها آتانا الله من عنده نار المحبة، فاقروا آيات رحمته في الكون وفي كتابه، لعله يأتيكم بقبس من الرحمة، أو تجدوا في الرحم هدى، فَتَرَوْا وَتَسْمَعُوا وتشعروا بنوره، ويهبكم «الشوف».

حبُّ وِشِيخٍ وِطَرِيْقٍ

بقلم: أحمد صلاح

لم تكن رؤانا كما ينبغي لها أن تكون، فلا ندري أشرُّ أريدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً!!

حقائقنا يخفيها كثير من العيوب وقليل من المميزات، ولسنا على شاكلة بعضنا..
ففيما من البعض، وبعضهم يظهر منا، لكننا -وإن تناسب القول لا نهائيات البدء-
دائرة لا يعلم منتهائها إلا الله.

هذا ما كنت أحاول أن أستبين معناه في إحدى جلساتي الأنوية!!

كنت قليل التواصل بري، ولكن -وعلى الرغم من ذلك- ما دعوته في يوم ورد لي
دعوة! فقد كنت أجدّه في كل طريق لي.. حتى أخطائي وإن عظمت.. ولكنني حينما
عدت إليه في صلاتي ذات يوم بالدعاء أجابني بالقبول، وأوصلني إلى طريق كنت
دعوته أن يُسلكني فيه ويربطني به لو كان فيه صلاح أمري ونور قلبي..
وقد كان..

فقد رأيت ربي في جليل خلقه: في أبي وطريقي وقدوتي.. في قلب تجسد بالنور، وروح
ملئت بالعشق النبوي.. في سر من أسرار الوجود المزهر حباً ووداً وذكرًا... قابلته ولم
أشأ أن أقابله، ففي رؤيتي الأولى كنت كما الباحث عن التحقق من كل شيء في كل
شيء؛ تخوض بي المسالك منتهائها، دون أن أصل.. حتى صادفته في أول الطريق.

تعلمت العشق وأسراه، والفكر وأنواره، والذكر وأغواره... فغصت في باطن التربية
لربي.. ووجدتني في طريقه بغير حول مني ولا قوة!!

كان شيعي وإمامي الشيخ أبو المواهب عظيم الشأن، لدرجة يخجل الكلام أن يخط
سطراً فيها! فلا تراجع تزخر معانيها لتفي هذا الكيان حقه.

في أول طريقي كان هو في جمع من الناس يمدح آل بيت النبي ويشدوا هيأماً وحباً،
ومن حوله من الناس كذلك.. جلوس وكأنهم راقصون في فضاء المحبة والنشوة غير
المرئية! لم أرها حقيقة في بادئ الأمر، ولكنني شعرت بلفحتها الباردة، برودة الجنة
لأهل النار.. طرقت الباب، ومع أول دقه جاء النداء بالإذن..

فلقد سمح الكريم بقبول الوافد الجديد من أبنائه ليشرّب قلبه العشق النبوي..
أراد بي خيراً.. أربعم سنواٲ من حياٲي كانٲ بمٲابفة عمري كله. فلقد كانٲ آخري
أربعم سنواٲ في حياٲه.. علمني فيها كيف ينشد الحب؁ فٲدركه أوبة العاشق؁
وٲٲلقفه أوراٲ المسٲنير وٲنشره آهات المٲداح.. أربعم سنواٲ أشربني فيها كأس الغرام
بلا عَولٍ. وألحفني عباءة الوجد؁ فلم أر حراً فيها ولا زمهريراً.. ٲعلمٲ كل شيء
فيها: أن الحب هو معنى كل عمل؁ وأن أول حب هو حب الله وحبيبه وآل بيت
حبيبه.. فكل ما خلا الله باطل. ولا معنى لشيء دون نية طيبة.. ف«كل الأعمال نية
إن لم ٲنضجها النية».

رضي الله عن شيخي وحببي الذي لم يفارقني منذ تلك اللحظة!

الشيخ محمد أبو المواهب السعيد

يُنَدِيهَا وَلَا يَتَدَبَّرُهَا

بقلم : أحد عباد الله

أول أمر الفقير أنه كان في ضيقٍ شديدٍ يكرهُ به أهلُ شرٍّ، ويكيدون له كيدًا لم يشهد قبله مثله في حياته، وقد أوشكوا على أن يدخلوه السجن، فرأى رؤيًا أنه يعوم في البحر -وهو على وجه الحقيقة لا يجيد السباحة- يعوم ويسمع خلفه صوتَ طلقات رصاصٍ وجلبة، وأصوات «سارين» الشرطة، وقد أيقن أنهم مدركوه لا محالة، فرأى رجلًا يسبح إلى جواره من جهة اليمين، وقد قال له: اتبعني، ولم يرَ وجه ذلك الرجل، فقال له الفقير: لا تحاول، فإنهم مدركونا لا محالة، فقال له الرجل في حسمٍ: اتبعني، وسبح أمامه، فسبح الفقير خلفه، وهو لا يصدق أنه بإمكانهما النجاة، ولم يسبحا مسافة مئة متر أو يزيد، إلا وقد وجدا سفينةً، مثبتةً إلى قاع البحر، بأعمدة خرسانية، أصل الأعمدة في قاع البحر وبقيتها ممتدة داخل جسد السفينة، فنظر الفقير، فوجد الرجل الذي يسبح أمامه قد توقّف وأمسك بمقبض، تمتد منه سلسلة مربوطة بمقدمة السفينة، وسلسلة أخرى مربوطة بمؤخرة السفينة، وقد حرّك ذراعه التي يقبض بيدها على المقبض الموصول بالسلاسل، في حركة نصف دائرية، إلى جهة اليمين بقوة، فانخلعت مقدمة السفينة من الأعمدة الخرسانية التي تثبتها، وحرّك ذراعه بالقوة ذاتها جهة اليسار فانخلعت مؤخرة السفينة، وبذلك صارت السفينة جاهزة للإبحار، وانتهت الرؤيا، وقد فرّج الله عن الفقير بعدها بأن أعانه على سلوك طريقه، ويسر له أمره فيه، كما حمل عنه عبء محاربة أعدائه، وهو أمرٌ يطول شرحه، وتكثر تفاصيله!

ولما مضى الأمر، وفي شيء من وساوس النفس، شعر الفقير بأن ما حدث له في حياته لم يكن ليحدث لو أنه أخطأ أخطاء جسيمة أدّت به إلى ما هو فيه، وأنه المعلوم الأول في كل ما حدث، ثم كان أن سافر إلى القاهرة، ونزل بشارع كلوت بك في أحد فنادقه الرخيصة، وكان يجلس على مقهى من المقاهي، كل صباح ليتناول مشروبًا وإفطارًا يحضره من عربة فول قريية، وفي تلك الأثناء ظل ليومين يرى رجلًا يجلس على مقربة منه، ملامحه كملامح الفقير، جنوبية، يرتدي عمة كبيرة وجلبابًا فضفاضًا، ووقع في خاطر الفقير أن ذلك الرجل لديه رسالة يحملها إليه، لكن لا سبيل إلى اقتحام خلوة الرجل على المقهى، وسؤاله عن رسالة يتخيلها الفقير، وربما كان أمر الرسالة هذا محض وهم، إلى أن مر يومان، والخاطر لا يفارق الفقير، في اليوم الثالث جلس الفقير بالقرب من الرجل وسأله (من فين يا خال؟)

فأجاب: من إسناء، وأنت؟ من الأقصر، وكلمة تلو أخرى، بدا الكلام عاديًا ومباشرًا ولا رسائل فيه، حتى حلت لحظة صمتٍ قصيرة، نظر الرجل فيها أمامه، في شروذ وقال (إيبيه، يُبديها ولا يبتديها) ثم نظر إلى الأرض، وكانت جملة الرجل إشراقه كُبرى في قلب الفقير، إذ فهم أن هذه هي الرسالة، وأن فيها نجاته من شقاء نفسه بإطالة اللوم لها، وأن الله يبدي الحوادث (يظهرها) ولا يبتديها (يبدؤها) أي أنها في سابق علمه، وأنه ليس لأحدنا دخل في مشيئة الله، وأن ما يحدث على أيدينا هو ظهور الحوادث لا خلقها، فلسنا ملومين على ما لم نخلق، وسبحان الله، كانت كلمة الرجل أول أمر الرضا في قلب الفقير.

رأيتہ فی اللطف

بقلم: آية علم الدين

يسألني الصغير عندما أخبره عن الله: «هو ربنا فين؟»

لا أعرف ردًا محددًا لهذا السؤال، حتى الإجابة التي اعتدنا عليها منذ كنا صغارًا، أشعر أن فيها تدليسًا على الأطفال، لكنني أقولها لأنها الأقرب، وربما الأسهل بالنسبة لفهمي وفهمه: «ربنا في السما».

«وجدو عند ربنا في السما؟»

«أيوه يا حبيبي»

«طيب انتي شفتي ربنا؟»

لا أستطيع الرد! هل رأيته فعلاً؟

لو كنت يا صغيري في موقعي هذا ما سألتني: هل رأيت الله؟

نعم رأيته رؤية القلب والروح، فما العين إلا مرآة لما يراه القلب لا العكس، فالعين المجردة تخفي عن المحب عيوب محبوبه، والعين وحدها تخدع الكاره عن محامد من يكره، ألا يقولون: عين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا! إذا فما الذي قد أعوله على رؤية النظر فقط إن كان القلب رأى والروح شعرت ولمست، بل وطعمت هذا المذاق الحلو لقرب الحبيب؟

لم يكن أبي بعدد قد أتم عامه الأول في دار البقاء، ستة أشهر أو أقل لم أذق فيهم

طعمًا للحياة، كنت أرى الكون من خلاله، فلما ذهب ذهبت معه الرؤية، بل وذهب طعم الحياة كلها، حتى ذهبت إلى ذلك المكان الذي دعاني صاحبه إليه دون حيلة مني.

في خلوته التي يحتضنها جبل حميثة جلست حيث جلس سيدي صاحب الخلوة والكرامات، الذي وقف على باب المدينة المنورة يومًا عاري الرأس والقدمين حتى أتاه الإذن من ساكنها عليه أفضل الصلاة والتسليم، أما أنا فلم أكن بمثل هذا الأدب والعلم حتى أفعل، فقط جلست حيث أجلسوني، وصعدت أتلمس خطو الصالحين؛ عليّ أجد على الجبل هدى لنفسي الحائرة وقلبي الضائع.

خلعت عقلي على باب الجبل المقدس، وصعدت كما صعد المريدون، أنظر إليهم كلما غلبني التعب، فأرى على عيونهم أثر المحبة مستقرًا، والود لا يفارق ثغورهم حتى أنني ظننتهم الملائكة!

وعندما استقر بي الجلوس على حجارة من الجبل بمقابل المقام، وبينما يحاول كل منهم أن يخلو بالحبيب فيهمم بروحه إليه، غفوت!

أجل غفوت، أو بالأحرى صحوت من غفوة الجسد في أغراض الدنيا الزائفة إلى حقيقة لم تكن من قبل بهذا الوضوح والاتساع، وجدتني في موكب كبير أقف على عتبات شيخ مليح الوجه مهيب الجنب ذي لحية بيضاء خفيفة وابتسامة أبوية حانية، طلبت الدخول عليه فأدخلوني، وبينما أخطو بخطوات وثيدة حائرة في جمع كلمات الشكوى واختصارها للبت وجدته يبسم لي بيد ممدودة للسلام.

مددت يدي، فلم يعد بعدُ قلبي كما كان قبل السلام، وكأن هذا السلام كان بمثابة غسيل لكل الأوجاع التي اختزنها عقلي على مدى سنوات عمري الماضية، ضمة ليدي الباردة أعادت الحياة إلى جسدٍ مَمَكَّن منه الحزن فظننته مات، وابتسامة ودودة همس لي أن «اطمئني» فاطمأنت!

أهكذا وبكل هذه السهولة؟ أجل؛ إنه لطف الله الذي ينقذ به عباده، قبل أن يسقطوا على أعتاب اليأس، نقطة النور التي تبدد ظلام أنفسهم فتحيله إلى ضوء ساطع يهديهم إليه.. إنه لطف الله بعباده.

وتسألني يا صغيري: هل رأيت الله؟ فأقولها بفم مملوء: نعم رأيتُه.. رأيتُه.. عندما تشتد مصائب الدنيا عليّ فأجده -دون مناسبة- قادمًا إليّ ليحتضنني فيزيل عني كل الهموم! رأيتُه في حادثة طريق كادت تودي بحياتي لكنه وضع نجاتي في حزام أمان هزيل! رأيتُه في دعوة جارتنا المسكينة ألا تموت وحيدة، فيشاء لها الله أن تنتهي حياتها في يوم زيارة العائلة!!

الله لطيف بعباده، وأنا رأيتُه في اللطف..

لن تراني

بقلم: أيمن مسعود

هكذا رد الله - سبحانه وتعالى - على كلمته: سيدنا موسى - عليه السلام - الذي كان يطمح إلى الجمال لا الإيمان.. فموسى كلم الله؛ لم يكن يبحث عن دليل إيماني على وجود الله، بقدر ما كان يبحث عن الاستمتاع بالنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.. وموسى كان يعلم يقيناً أنه غير مؤهل لهذه النظرة إلى الله، فطلب أن «رِيَّهُ» الله، فقال: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»، أي: اجعلني مؤهلاً للنظر إليك!

وعلى هذا فلا تكون الرؤية إلا منحة وعطية من الله تعالى لعباده الذين اصطفاهم بعد أن أصبحوا مؤهلين لذلك.. وعباد الله الذين منَّ عليهم بذلك كثيرون، منهم من يعرفهم الناس من كراماتهم، ومنهم من يستخفي عن الناس!! منهم من تغلب الفرحة عقله فيهم على وجهه، ومنهم من يسكن إلى العبادة ليستزيد قرباً! منهم من اكتفى بالإشارة، ومنهم من لم يرضَ إلا بالقوسين، كما ارتفع محمد - صلى الله عليه وسلم -، فكان «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».

هنا وفي هذا المقام، لم يَرَ محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه، ولكنه رأى به! قال حين سئل عن ذلك: «نور أُنَّى أراه؟!»، ولكنه كان بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع بها... كان في هذه الرؤية خلاص من التعلق بما سوى الله، وكان فيها رضى بالله عمن سواه.. لم يكن أفضل منها ينتشل محمداً من ضغوط الحياة سوى هذه النظرة إلى المقام الجليل، وأن ينغمس في هذا النور الذي لا ظل له!

إن هذه الحالة ليست قاصرة على النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وإن كان المقام له وحده، فلم يحرم الله - تعالى - عباده من هذا الشعور، فأراهم آياته، ليكتفي بها من يكتفي، وينجذب من ينجذب!! فسار في طريقه علماء؛ استدلوا عليه، وسار في طريقه عارفون استدلوا به!! وشتان ما بين الفريقين، وكلاهما على خير.

ما بين فريق يقف باللغة عند حدود اللفظ، ويقف بالمعنى عند حدود النص، وفريق آخر يتجاوز به الوصل ما يمنعه الواقع، فيقول لله دون أن يشرح، فهو يؤمن أن الله تعالى جَلَّ عن أن يُشرح له، فهو يعلم السر وأخفى.. ينطق عن الله بما يراه العابرون على حدود اللفظ تجاوزاً، وهو لا يرى إلا الكشف عن أغوار النفس، والاستزادة من النور، والانغماس فيه!

لا مكان في هذا المقام للخطيئة اللفظية بين الواصل والموصول فيه، فالواصل يعلم مقصد الموصول، بل هو من يمنحه اللغة التي يقول بها، وهو من يكشف أو يخفي، فقد يقف اثنان على مسافة واحدة من القرب، فلا يريان الرؤية ذاتها!! إنه لا رؤية إلا بالله! ولا وصل إلا به.. فلا يرى الرائي باجتهاده ولا بذاته ولا موهلاته... إنما يرى بقبول الله له، ويمدى هذا القبول يرتقي وتنكشف له الحقيقة، فيستقر أو ينجذب، ويرى ويُرى غيره.. أو يرى فينسى.. أو يرى فيمنعه ما رآه عن رؤية غيره!

إذا أردت أن ترى الله، فاسأله، واعلم أن الطريق التي سلكها غيرك فوصل ليست بالضرورة طريقك التي يجب أن تسلكها، فرمما تسلكها وتضل، فقد سلكها غيرك موهلاته هو، وليس موهلاتك أنت!! ابحث إذن في داخلك عن الله، وخاطبه «كأنك تراه»!

اللهم ارزقنا رؤيتك

المتجلى^{١٤}

بقلم: حازم وفي

قالت لي: «أنت لا تؤمن بي مثلما تؤمن به، بينما أؤمن أنا بك فقط ولا أحد سواك».

كنا نسيح في بحيرة فضية وحدنا، وثالثنا القمر يسمع تحاورنا في صمت، ويلقي بضوئه الساحر على وجهها، فينير أكثر، ويزيدها فتنة... نظرت إليه طامحاً أن يجيب عني: ها هي الآن تتحدث عن إلهي وإلهك! ولكنه سكتُ تاركاً لي تحدياً كبيراً في الإجابة.

أحبها بشدة، ودوماً ما يضعنا الحب في مأزق، كنت أحدثها عن القدير وكيف أن له تقديراً في أن يجمعنا معاً: أنت من مدينة بعيدة وأنا من مدينة أبعد، أنا من طرف الكرة الأرضية وأنتِ من الطرف الآخر، وقلوب البشر بين يدي الرحمن يقبلها كيفما شاء.

«الأقدار من صنع الإنسان، نحن من نصنع أقدارنا».

قالتها وهي تنظر في عيني مباشرة، ثم أضافت في دلال:

«الصدفة السعيدة هي التي جمعتنا معاً، أحببتك من أوّل لحظة نظرت فيها إلى عينيك، وقلبي ليس بين يدي أحد.. وإن كان، فإنه بين يديك أنت!»

ألجمتني مرةً أخرى، لم أعرف هل أفرح لاعترافها بحبها لي بتلك الكلمات الساحرة أم أحزن لأنها لا تفهمني؟! يورطنا القلب في أمور لا طاقة لنا بها، كنت قد حدثتها من قبل عن تجلي الله للجبل في قصة النبي موسى، وكيف أنه انهار وهوى متحوّلاً إلى صورته الأصليّة، أعجبتها القصة التي كانت تسمعها بفضول طفلة ولكنها لم تقنّع بمغزاها!

-«رما أحببت فيك حماسك وقناعتك ولمعان عينيك وأنت تتحدث عن تلك الروحانيّات»!

-وما الحب إلا واحداً من أهم «تلك الروحانيّات» التي أتحدث عنها، أحبّ موسى ربه فأطاعه، وأحب عيسى مولاه فسار عكس الجموع، وأحب إبراهيم نور خالقه

فألقي بنفسه في النار ذاتها، ورأى محمد البرهان يقينًا فصدّق وصدّق...

-«أستطيع أن أشعر بك ولكني لا أفهمك!!»

-«تشعيرين لأنك تحبين»

نظرت هي إلى القمر تلك المرة، شرّدت للحظات، أراه منعكسًا في عينها فزادها بريقًا وزادني لوعة، أرى الله يتجلى في صنعه لعينيها، زرقاء تنسجم مع الكون من حولنا، بها هدوء وصمت يجعلني أذوب، أصل إلى قلبها من هنا: من العينين، وأرى فيه خيرًا وحُبًا كثيرًا للعالم.

قاطعتني: «يبدو القمر أقل جمالاً إذا نظرت له من خلال التلسكوب، هل جربت؟»

رددت بالنفي.

قالت دون أن تبعد عينيها عن السماء:

«قطعة الزجاج تلك تصنع دومًا حائلًا بيني وبينه، نظرت إليه كثيرًا: مئات، بل آلاف المرات، بدافع الفضول والاستكشاف، هل تعلم أنها ربما تكون المرة الوحيدة التي أنظر إليه بالعين المجردة؟ أنظر إليه وأطيل النظر؟!»

- «رأيتُ ذلك.. ربما هو أيضًا يشعر بك، ربما هي المرة الوحيدة التي يراك فيها تنظرين إليه نظرة المحب وليس نظرة المدقق!»

نظرتُ إلى القمر، تبسم لي، تجلّى الله مرة أخرى في ابتسامته، قلت بعفوية: «الله».

خفضتُ رأسها في هذه اللحظة، ونظرتُ ناحيتي، وقالت: «جميل».. ثم رفعت رأسها ناحية القمر مرة أخرى: «كم هو جميل!».

اقترب الفجر، وكنا قد خرجنا من البحيرة، وجلسنا في مكان قريب نرى منه الجبال على مسافة بعيدة، تكاد تلامس السحب، تريد أن توقفها.. هل تغار الجبال من السحب لأنها حرة؟ ولكن السحب أيضًا ليست حرة تمامًا؛ الرياح تحرك السحب، وتتحكم في اتجاهها وسرعتها بل وشكلها، ويبدو المشهد كلُّه أمامي الآن كمطاردة بين الثابت الذي لا يملك حركته، وبين المتحرك الذي لا يملك حركته أيضًا، حتى الرياح، الرياح نفسها يُحركها ملكٌ موكَّلُ بها، هي أيضًا ليست حرة تمامًا، منظر

مبهر، انقطعت أفكارى الجارية مع السحاب، بدفء سرى في جسدى، فقد ألفت برأسها على كتفى وأشارت إلى النجوم في السماء، وظلت تحكي في شغف عن نظرية نشأة الكون والانفجار العظيم، ذلك الرَّحْم الذي خرج منه العالم بأكمله، هل قَرَأْتُ أفكارى كي تناقضها؟

لماذا يكون لديها دومًا الجرأة لتجاهر بأفكارها بهذه الطريقة المبالغتة، بينما لا أفعل أنا؟!!

كان القمرُ قد دَبُّلَ، وغلبها النعاس، تَرَكْتُ رأسها لكتفى، وبدأت خيوط الإشراق تسبح في السماء لكي تعلن بداية يوم جديد من أيام الله.

أغْلَقْتُ عينيها واستسلمت للنوم حتى تراخت أعصاب الجسد وانتظم النبض وسكنت الجفون، نظرت إلى السماء ورأيت اللون الأصفر يصبغ اللون الأزرق تدريجيًا فارصًا سطوته على السماء والأرض، هدأت الجبال واستسلمت لقَدْرِها، وتركت السحب نفسها للرياح تأخذها أينما يشاء المَلَك، تراءت لي اللوحة كاملة الإبداع، وتجلي الله لي مرةً أخرى.

«قلت لك إن ما أعجبني فيك هو يقينك بتلك الروحانيات»

سمعتها تقول.

الآن يتهلل

بقلم: د. راقية جلال الدويك

الأيام التي تشبه بعضها ليست لعنةً كما يظن البعض، بل إن تعاقب الأيام وانفلاتها من عقاب الثبات النسبي لأحداثها هو ما يخيف بحق.

كانت أيامه متشابهة رتيبة المثل، تتكرر في صباحاتها الأحداث كل يوم، وتكرر مساءاتها ما يكون في كل مساء. كان ينظر لليوم تلو اليوم يسأله التبدل والتغير، إذ كان لا يرى من رتابة حاله إلا الموات المتجلى في تكرر الأشياء ذاتها وذات الأحداث. ولما كان للأيام منهجها المصقول في المسير، ولما كان للأقدار كتابها المبرم، فقد قوبل سؤاله لفترة غير قصيرة من الزمان بما ظنه رفضاً، وما فسرته هواناً حال.

كان من جيلته البشرية أن قاوم التكرار والرتابة، وسعى في أرجاء كونه الصغير يضرب الأركان ويطرق الأبواب، هذه الأركان كانت رافضة دوماً الضرب عليها، كما ولم تنصفه الأبواب يوماً فتفتتح. لكنه لم يعب أن ذلك ليس لعيب في خطوته ولا سعيه، وإنما لأنه الوقت بعد لم يحن؛ ذلك أن للأيام كتاباً تسير وفق منهجه وتتجلى في مواعيد تجليها المكتوبة فيه.

لكنه ظل على كل حال يسعى ويضرب الطرقات، ثم يؤوب خذلاً بعد كل مرة، فيستشعر شيئاً من الافتقاد لرتابة حاله الذي طالما رفضه وجافاه. كان ذلك ديدنه مع الدنيا، يروح ويرجع.. يحاول ويفشل.. فيعود، ويهدأ، فيمَل، فيعود يحاول. وقد كررت له الأيام ردها الواحد، وكرر هو معها فعله الأوحده.

ثم بعد حين .. بعد انقضاء لمعة التجربة، بعد التثبت من ضباية المحاولة في غير موضعها، كان أن سلّم بالرتابة وتكرار الحال، فركن إلى منزله البسيط بقريته الصغيرة، يربي فراشاته، ويناكف ذباباته، ويقاوم الخيال. نظر فيما حوله فوجده ليس بهذا القدر العظيم من السوء الذي ظنه عليه، ونظر لمن حوله فوجد فيهم أحبابه المخلصين، فإذا به للمرة الأولى يقنع بالسكون؛ سكن.. وسكنت من حوله الدنيا وكأنها تؤكد له ما ارتآه، وهو قد ظن ذلك وصدقته، وصدق عليه بالهدوء التام.

ثم.. حان للأيام أن تأخذ خطوتها التالية، التي ظن هو من طول أمد ما سبقها أنها لن تأتي، أدارت الدنيا وجهها الرتيب الهادئ، فإذا بكل ما حوله يهتز، وإذا بمن حوله يهتفون. هذا أخوه يسافر لا يعلم له موعد عودة، وهذه أخته تهاجر مع عائلة جديدة ورجل يملكها وتملكه.. هذه أمه تغادر فجأة!! أمه.. الساكنة في مقعدها الأثير، صانعة الحلوى والخبز والحكايات، تغادر فجأة دون نذير، فتحط في نفسه جذوة من نار ليست شديدة الاشتعال بقدر ما هي عميقة الألم، ظلت هذه الشعلة على حالها في صدره حتى اعتادها، بل وكان يفتقد حرها إن ألهمت عنها يوماً الأحداث.

لم يعد معه من الأحباب إلا أبوه، أبوه!! نعم هذا الشديد القاسي.. الحبيب الغالي.. كم كانت حواراتهما دوماً شائكة، ولقاءاتهما دوماً عسيرة، كان يحبه كثيراً كثيراً، لكن أباه كان من ذلك الجيل الذي يرى في إظهار المودة ضعفاً، وفي التلطف بالمحبة ترفاً. فكان يصمت كلما قال له الفتى «أحبك يا أبي»، فكان الفتى يعصُّ بالمحبة مرة تلو مرة، يبلعها فلا ينطقها، وتؤلمه ولا تجرحه.

هذا الأب هو اليوم كل من بقي له، وهو اليوم حاجته الماسة؛ طغت محبته لأبيه على خوفه من صده، لمَّا رأى وجه الأب يضمُر بالمرض وقلبه توهنه الآلام، لكنه هذه المرة كان يحبه بالفعل فقط؛ إذ ما عاد يستطيع قول: «أحبك يا أبي»!! كان الأب يدري ويقدر؛ فهو على ضمور وجهه مازال عقله مزدهراً، وعلى آلام قلبه مازالت روحه عفية. ظل الولد يخدم أباه، والأب يتلقى المحبة، الابن يخدم والأب يعي، الابن يخدم والأب يمتنُّ، الابن يخدم والأب يدعو صامتاً لابنه بالسعادة والعافية.

ظلت الحال على ذلك أعواماً وبضعة أشهر، حتى اعتاد الولد الخدمة فلم يعد يرى فيها إلا روتينه الرتيب، لكنه روتين -رغم عذابه- كان بالنسبة إليه أقل شقاء من الوحدة المطلقة.. حتى أتى يوم، والولد على حاله؛ يخدم أباه، يمشط شعره وينظف ثوبه ويمسّد جبهته بيديه، إذ بالأب يسحب يد ابنه إلى فمه، فيقبلها، وإذا بالفتى يجفّل ويدهش وتُعيقه المفاجأة عن السؤال أو الجواب.

ترك يده يقبلها فم أبيه، لم يَقْوَ إلا على نظرة خجلى ملؤها الدهشة لعيني الأب اللتين ما زالتا تحملان لمعة زمن الفتوة القديم، ثم إذ بلسانه ينطق بصعوبة بالغة «ما هذا يا أبي؟ ماذا تفعل؟» فإذا بالأب يقول له: «أقبل يديك، هذا عرفان ببرك العظيم بي، واعتراف إجمالي عن سنوات طوال كنت فيها أود أن أقول لك (أحبك يا بني) لكنني لم أستطع!»

ساعتها، هدأت في نفس الابن كل النيران الصغيرة عميقة الألم، ونبتت مكانها حدائق من بهجة واطمئنان.. لم يحتج الابن إلى مزيد من الأسئلة، ليس بحاجة ليقول: «أحقا تحبني؟ لماذا لم تقل لي سابقاً؟ أنت من قديم العمر بيننا تحبني؟» لم يكن لأي سؤال موقع من منطقي، وعلى ذلك فقد وقر قلبه واستقرت جوارحه.

لم تطل الأيام بالابن مع الأب كثيراً بعدها، إذ واجهته الوحدة الكبرى حين لبى الأخير نداء الرحيل الجبري، فنظر الولد يمنة ويسرة، فإذا بالكون يصفر صمًا، وإذا بمكان الأب الذي كانت تملؤه العقاقير ووسائل الشفاء فارغ نظيف.. وإذا بقلبه خاٍ ضعيف!!

كانت الرتبة حينها صديقًا وفيًا لم يرفضه، إذ كان نورًا ما يتسلل إلى قلبه يومًا بعد يوم ليملاً فراغ روحه المعذبة بالوحدة.. في بادئ الأمر لم يبع من أين تأتيه هذه الطمأنينة، وكيف لم تعد روحه جزعة ولم يعد قلبه يحترق، لكنه لما أوقف البحث عن التفاسير، وأطلق في عنان النور الطلق روحه كاملة، إذا به يتهل قائلاً: «لما روتني المحبة، لما استقام الوداد، فقد رأيت الله.. إني رأيت الله.. إني رأيت الله».

تداركه القلوب

بقلم الروائية: رباب كساب

كثيراً ما تساءلت عن هذا الذي يهددونني بغضبه، ويتوعدونني بناره، ويعدونني بجنته، أين هو؟ أشاروا عاليًا نحو السماء، نظرت بعيني طفلة في طور الاكتشاف إلى السماء؛ طالعتني النجوم، ومراتٍ غشيَّ عينيَّ نورُ الشمس، صاحبني القمر، لكني لم أره، أين هو؟ قالوا: «لا تدركه الأبصار!»! الأبصار لا تدرك الكائنات الدقيقة، تلك التي نحتاج إلى ميكروسكوبات كي نراها! لا تدرك الخلايا! لا ترى الطفرات الجينية! ولا تعرف كيف تراقب سير الدم في الأوردة والشرايين! ولا يمكنها أن تشاهد ما يفعله الكلوروفيل أثناء عمليات التمثيل الضوئي داخل النبات!

العين لا ترى الكثير، لا تقولوا: «لا تدركه الأبصار» فقط وتكتفون، إن كل ما لا تدركه الأبصار آية من آيته، عليكم أن تقولوا -بلا مواربة-: «تدركه القلوب».

عرفته البصيرة، وعرفه قلبي، وامتلاً به مرات ومرات، في لحظات رضاه ولحظات سخطه... أعرف أنه إلى جواربي.. أشعر به حين أمُرُّ ببائع بسيط لأشتري شيئاً، فإذا بالرجل يترك ما بيده لينظر إليّ ويلهج لسانه بدعاء كنت بحاجة إليه، أو حين أكون في ضائقة فتقابلني عجوز تكاد تسقط على الأرض من فرط الوهن والتعب، فأسندها، وأحمل عنها أشياءها، فتربت على كتفي بحنان، وتبتسم ابتسامة تزيح ضيقي، قبل أن تختفي من أمام عيني، أرسلها لي.. أعلم أنه بعثها ليقول لي: أشعر بك.

إنني أراه حقاً.. أراه بلا كذب؛ ذات صيف وكان ميدان الثورة عامراً بأهله.. كانت الشمس قاسية.. مررت أبحث عن بائع المراوح التي يمسكها الجميع من حولي، لا أعرف أين اختفى، وقبل أن أكف عن بحثي مرَّ بي رجل قصير لا أعرفه؛ مد لي يده بالمروحة ومضى، دون أن أبرح دهشتي وأشكره، إنه هو؛ يخف عن القلوب، يربت على ظهور عباده، الرحمن الرحيم دائماً.

قبل سنين شعرت بظلم لأنني لم أخط بما أستحق، وأجبرت على دخول مكان ليس لي، شعرت بنقمة وغضب كبيرين لا يفارقانني، مر عام وآخر، وزاد عام وآخر، ولازال غضبي في قمته، حتى جاء يوم، وفي لحظة فراغ قاتلة، تأملت فيها ما مضى، فرأيت أن ما أغضبني هو أكثر ما ناسبني بالفعل، ما كان لي سواه، لقد انتقى لي؛ إنه يعرفني، يراني وأراه!!

إنه يسكنني! ليس لأنه سمح لي مرتين أن أشعر به بداخلي، مرتان في عمري، بينهما سنوات تزيد عن السنين العشر: المرة الأولى كنت في واحد من بيوته، وحين دخلته، وجدته أحرُّ ساجدًا، بقوته وجلال حضرته؛ احتضنت وجوده بالصلاة، المرة الثانية كان قلبي قد فتح مصراعيه ليحب، وفي غمرة إحساسي بأنني وجدت ضالتي وجدته يملؤني بنور وإحساس أكبر من وصفهما، كان معي، كان بداخلي، إنه يباركني، فاطمئن قلبي وسكن، لكنه لم يسكنني لهذا، أعرف وجوده داخلي حين أقابل في الصباح ابتسامة من وجوه لا أعرفها، حين يشملني دعاء لم أقله، لم يُردِّده لساني، لكنه يرسم على وجهي رغبتني، ويلبها أناس لا أعرفهم ولا يعرفونني، فأعرف أنهم رسله الطيبون، وأراه جليًا.

هو من رأيي

بقلم: سارة أحمد

احترت كثيراً عندما سألتني: متى رأيت الله؟ فمنذ زمن طويل وأنا أشعر بديمومة تامة ومستمرة لرؤيتي له إدراكاً ونظراً وبصراً!

فهل أتحدث عن رؤيتي العينية له؟

رأيتَه في كل جميل حولي.. في كُلِّ بديعٍ خَلَقَهُ.. في الكون، من أكبر جرم إلى أصغر فراشة، في روعة البحر وشموخ الجبل واتساع الصحراء وسريان الأنهار... في التناسق بين المخلوقات ووحدها كنسيجٍ كونيٍّ مَرِنٍ.

أم أتحدث عن رؤيتي القلبية له؟

رأيت الله يملأ قلبي، ويحميني، ويدعني عنيته تحوطني... قَوْمِنِي ومللم حطامي مراراً، ألزمني مَعِيَّتِهِ؛ ما ناجيته إلا انتشلي.. ما قصدته إلا أعطاني.. وحين أغيب لا يغيب.. وحين أعود أجد الحسنى وزيادة..

لا، سأحدث عن رؤيتي العقلية له:

هذا أوقع، وأعقل، وأجدر بالقياس؛ لقد خلقتني وبناني، وخلق بداخلي ثلاث نطف هي الأروع.. فيهن يكمن بدء الخلق وانتهاهؤه.. فما أروع أن تحمل معجزة عينية تكبر، وتكبر، وتنمو، وتتحرك، وتبتسم، وتبدع، وتتعلم...

بل كم نجانا من مهالك محققة، وكان آخرها حين شبت النار في بيتي وقت غيابي لأسبوع عن المنزل دون أن يتأذى أحد، ونزل اللطف من حيث لا أدري.. حتى أنني رأيت اللطف ولم أر النار!

حقاً وصدقاً!

أنا لم أر الله.. هو من رأي، ومس نوره قلبي، وهداني لرؤيته ولرؤيه الكون من خلاله.. منه البدء، وهو الصاحب في الطريق، وإليه المنتهى.

الرؤية

بقلم: سلمى النور داني

النور، حيث النجاة من إحدى طبقات الجهل. حيث نرى أن الظلام لم يكن إلا ممرًا، وأن الألم، الذي يسبق الرؤية، لم يكن إلا سبيلًا. فتُدرك الحكمة وراء العجز والوهن. وقتَ تجد عقلك، بعد طول عناءٍ، قد ابتسم فهماً أخيراً.

لِنلقِ نظرة على فعل الرؤية.. لفظ «رأى» إذا ما نظرنا إليه لغويًّا سنجد أنه قد قَسَمَ مراحل الإدراك، فجعل «رأى» المقارب لـ «نظر» و«شاف» ينصب مفعولاً واحداً، وجعل «رأى» المقارب لـ «أدرك» ينصب مفعولين، وجعل «رأى» المقارب لـ «شاهد في الحلم» ينصب ثلاثة مفاعيل. ومن هذا المدخل اللغوي يتضح أن مراتب دخول الفكرة وإدراكها تمر على ثلاثة أجزاء: فالأول العين، والثاني العقل الظاهر، والثالث العقل الباطن.

أما عن تكوينها، فالرؤية كما أخبرنا كثيراً، لا يمكن جمعها إلا عن طريق إدراك كل جوانب الأمر. ولذا فمناط الحديث هنا هو الرؤية بمعنى الإدراك، المرتبة لغويًّا بالثانية. وهي التي لنا فيها عمل والتي نبني فيها حقيقة على حقيقة أخرى.

لكي تستطيع رؤية كل أجزاء الصورة -كي تكونها- فإن عليك النظر إليها من كل اتجاه، وتقليب أوضاعه، والنظر في الحقائق وتفنيدها. حتى إذا لاقيت ما يصفه الناس بالكارثة، أدركت أن تلك «الكارثة» هي عين لطف الله بالمرء، فهي إما ابتلاءً وإما رحمة. والإدراك () هو الموصل للرضا بالقضاء، فأول سؤال يُطرح حين وقوع أمر ما، هو «لِمَ؟». وإجابة هذا السؤال توصل للإدراك الموصل للرضا الموصل للسعادة. ولذاك علمونا «وسع مشهدك تنل مسعدك»، أي: اجعل مجال رؤيتك على اتساعه تَر الكثير من مظاهر اللطف وجماله. وحسبنا قوله تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا»، فإن المُقَدَّر قد بيّن سبيل الرضا بقضائه.

وإن قمة النعمة تجدد الرؤية، بمعنى: رؤية شيء جديد في كل مرة فتصبح رؤيتك أكثر بيانًا. ومن هنا نجد الشاعر يقول: «إن الأحبة في الفؤاد محلهم لكن عيني تشتهي أن تنظر». وتجدد الرؤية هو أحد سبل استمرار الحب، حيث تبدو حقيقته أكثر «فلا يملك أحدٌ أحداً.. ولا يعرف مفاتيحه حتى كما يدعون.. إنما يكفيننا من ذوي الجمال تمتعنا بالنظر في ذواتهم.. فلا امتلاكنا لجمالهم ولا أسرارهم يرضينا كما يرضينا رؤية مبدعهم فيهم!»، فحقًا قد «سُرَّ من رأَى» .

وإن بعض الخلق أحياناً من خوفهم من رؤية النور وما قد يتبعها، ومن اعتيادهم على الظلام، جعلوا من محاولة الوصول إلى النور جريمةً ، وجب عقاب من يحاول فعلها أو الحجر عليه. والخوف المكبّل هو من أفضح ما قد يتسلط على المرء، لأنه يدفعه إلى الوقوف والموت قبل الموت.. ولذا أرى -فيما يعي عابراً- أن الخائفين هم من أكبر العوائق التي تعرقل محاولة النظر، حيث أن أحاديثهم لا أحسبها إلا مُغْلَقَةً للآفاق، فَصُمَّ عنهم الأذان، ثم افتح عيونك! وانظر لتعلم... .

بصر من حديد!

بقلم: عصام مختار

«النصر عادة.. كذلك الهزيمة للأسف»

فينيس لومباردي

وكانها كانت دعوة مستجابة؛ ليس بينها وبين السماء حجاب، كنت حينها أشرب قهوتي في مكتبي مُحاطًا بأذرع كثير من القدرة والطمأنينة؛ أمنيح وأمنيح في مملكتي الناجحة.. أو هكذا ظننت!

لعله الملل من التعود ورتابة الأيام حتى في تحدياتها، فالتاجر مشكلاته معروفة، وما قد يواجه في معترك السوق والسعي، وكنت محصنًا جيدًا فيما بدا لي آنذاك من كل هذا، فلم أكن عملاقًا يُحسد ولا قزمًا يُحتقر! ببساطة، كان كل شيء على ما يرام!

لم يكن ذلك مغربًا في عمق نفسي وعقلي؛ كنت وكأني أبحث عن تحدٍّ يجعلني أرى الأمور أكثر -إن صح التعبير- إثارة!

حتى أن البعض ممن كانوا حولي وَمَصُوبًا بلا رجعة، كانوا يحذرونني من شر أفكارِي وما أنا به منادٍ! «انت بتتبطر على نعمة ربنا؟!»

ربنا!

هنا يكمن السؤال والجواب في آن! لم أكن من العتاة ولا من أولئك الساهين.. ولم أكن أيضًا حيًّا كما ينبغي ويجب!

لم أكن مناديًا بفقر ولا بمحنة، ولكني أردت أن أرى وجهًا آخر لرحمة ربي وكونه وصور تصاريفه جل وعلا!

وعكفت أدعوه صادقًا أن يرزقني صدق المعرفة بجلاله، وصدق المعرفة يكلف كثيرًا!

وها أنا ذا بعد تلك الدعوات المستجابة التي مر عليها قرابة الأعوام الثلاثة تحقق عندي اليقين الراسخ في أنه يرى؛ قريب.. مجيب...

رأيته فيما بدا للبعض أنه نقمة وخسارة في حين بدا لي كبعث جديد، كانت حاجتي لنصر حقيقي هي الزاد والدافع، فما ترثه شيء، وما ترثه وتحافظ عليه شيء، وما تصنعه بكلتا يديك شيء آخر مختلف!

رأيته في تحولي من حارس إلى صاحب حرفة، يتقن كيف يخلق من العدم فُرصًا، ويلتحف من خذلان الأحبة ورفاق السمعة رداءً للاعتماد على ذاته والتصبر بمعية الله!

رأيته في الضيق مرارًا، فضعفنا يوحدنا مع القوة المطلقة، فنلجأ ونلتجئ مرارًا على غير عادتنا، فنرى وجه الحقيقة في قدرتنا على فعل ما هو أكثر من مجرد الرضا بحياة استُخلفنا فيها لنعمر ونُبهر ونبتكر!

كنت في طمأنينتي الغابرة تلك محسودًا مغبوطًا على رؤيا ضبابية ومفهوم مشوه للستر والرضا والمنح!!

وها أنا ذا أنعم ببصر من حديد، وأمن لا يساوره خوف؛ أبتعد كثيرًا عن حدود أرض الهزيمة، وأعتاد النصر يوميًا، بعيدًا عن أعين الحاسدين أو المعجبين.. فقلما يلحظ الناس أنك ترى الله!!

حب الله

بقلم: د. محمد العمودي

ما أجمل الحب بين العبد وربّه! قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. (سورة المائدة آية ٥٤).

تمعنوا في كلام الله عز وجل، فنحن نعلم وندرك تمامًا أن الله غني عن عباده وهم الفقراء إليه وهو سبحانه لا يطلب منهم شيئًا، ولكن هم الذين يطلبونه دائمًا، ويعتمدون عليه في كل أمور دنياهم وآخرتهم، فهو الذي صورهم فأحسن صورهم وهم أجنة، ثم أخرجهم من بطون أمهاتهم، ثم هداهم وأرسل إليهم رسله بالحق.

وحب الله سبحانه وتعالى لا يقف عند التصريح والتظاهر أمام البشر، ولكنه حب مغروس في القلب، من دلائله الاتكال دائمًا على الله، واليقين بقدره: خيره وشره، ومراقبته في كل ما نفعل وكل ما نضمّر في أنفسنا، والإحسان إلى الناس وبالذات ذوي القربى ابتغاء مرضاته، والتصدق لوجهه الكريم دون أن تعلم شمالك ما أعطت يمينك، والتوجه إليه بالدعاء والرجاء سرًا وعلانية، وهو سبحانه يعلم ما في النفوس ومدى صفائها، وهذه هي البراهين في المحبة بيننا وبينه -جلت قدرته-، فلتكن شكوانا دائمًا لله وليس لعباده، ولتكن ثقتنا في محبة الله عظيمة، ولا نشك فيها مثقال ذرة.

روى الشَّيْخَان وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جَبْرِيْلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُوْلَ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقُوْلُ: إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغَضَهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ يِنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْبَغْضَاءَ فِي الْأَرْضِ).

اللهم إني أسألك غفرانك، فلا تتركني وأنا الخطاء المتجنبي، ورجائي في عفوك لا يخبو، ويقيني بقبول دعائي يجعل قلبي مُشرقًا بالأنوار وحين أخاطبك يا إلهي وأبتهل إليك تطيب روحي وتلتئم جروحي ويفيض عليّ اطمئنان يقضي على شكوكي وظنوني. سبحانه لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين!

أما آن الأوان أيها الأحبة أن نقترّب من الله بحبه الذي هو أصل الإيمان به؟ وألا نحلف إلا بالله وحده لا شريك له.. اقترب من الله؛ تقترّب السعادة منك.

ولله در رابعة العدوية حين أنشدت تقول:

وأغلقت قلبي عمّن سواك
خفايا القلوب ولسنا نراك
وحبّاً لأنك أهلٌ لذاك
فشغلي بذكرك عن سواك
فكشفك لي الحجب حتى أراك
ولكن لك الحمد في ذا وذاك
وشوقاً لقرب الخطى من حماك
فمسرّى الدموع لطول نواك
فنار حياتي انخبت في ضياك
رضيتُ بما سنئت لي في هواك

عَرَفْتُ الهوى مُذْ عَرَفْتُ هواك
وقمت أناجيك يامن ترى
أحبك حُبَّينِ :حبَّ الهوى
فأما الذي هو حب الهوى
وأما الذي أنت أهل له
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
وأشتاق شوقَيْنِ :شوقَ النوى
فأما الذي هو شوق النوى
وأما اشتياقي لقرب حماك
ولست على الشدو أشكو الهوى

رزقنا الله وإياكم محبته وطاعته ومغفرته ورضوانه...

خواطر حول الجبن

بقلم الروائي: محمد جاد الله

طالما امتلأت نفسي بالرهبة والوجل منذ نعومة أظفاري، كلما نظرت إلى الجبل!

كانت سلسلة تلال المقطم التي أسماها الناس «جبل المقطم» هي أول ما تعرفت عليه عيناى من جبال الأرض..

هناك.. على سفح التلال الحجرية الشامخة.. وفي حمايتها.. تسكن رفات أبي وأومي وكل من عبروا تبعاً من عائلتي إلى العالم الآخر، في مقابر أسرتنا المجاورة لمقام ومسجد سلطان الحب الإلهي وشاعره عمر بن الفارض..

هناك.. في طفولتي.. ارتبط الجبل وتداعيات النظر إليه عندي بالله وجهه.. وبالموت ورهبته.. وبفقد الأبناء الموحش.. وبالتحوّلات التي تصيب الجسد بعد الموت حتى يصير تراباً..

.....

خلال فترة انشغالي وشغفي بأثار وتاريخ مصر.. تجولت ربع قرن كعابر سبيل بين أقوام مختلفة العادات والتقاليد.. مستقرة على ضفتي النيل من أقصاه إلى أدناه.. من نقاط التقائه بالبحر المتوسط شمالاً وحتى وادي حلفا جنوباً..

وعبر النظر إلى سلاسل التلال التي تفصل بين الوادي الخصيب بكل ما يحويه من مظاهر حياة على امتداده في صعيد مصر.. وبين صحراء جرداء لا نهائية، تحد الوادي من مشرق الشمس إلى مغربها.. ترسّخ لديّ الشعور بأن التلال والجبال ما هي إلا حدود فاصلة بين عوالم وآفاق للوعي والتدبر..

.....

ثم كانت النظرة الأولى لجبال سيناء الشامخة التي تضاءلت أمامها كل تلك التلال التي ظننت يوماً أنها جبال وأنها شوامخ!!

هكذا الناس في بلادنا.. يسمون كل تلة ارتفعت عن الأرض جبلاً.. يظنون أنها تصلح لحمل خصائص وصفات الجبال.. بل وقد تصلح أيضاً لأن تكون بقعاً مقدسة!

هناك.. حيث الصخور الصلدة متباينة الألوان وتراكيب الطبقات.. حيث القمم التي تفوق السحب ارتفاعاً.. كلم الله موسى ابن الإنسان تكليماً..

وفي غار بأحد جبال مكة الشوامخ.. هبط سيد الملائكة جبريل حاملاً بشارة الوحي لمحمد بن الإنسان..

وعلى جبال بيت المقدس تهادى المسيح ابن الإنسان بين حواريه تَحْفُهُ الملائكة أينما حلَّ..

في رحاب الرواسي الشامخة تفتح البوابات الفاصلة والمُوصلة بين الآفاق.. وكأن الجبال تحمل شفرة للتواصل.. تبوح بها لمن نظر وتأمل.. منتظراً أن تشرق شمس المعارف على وعيه.. منتظراً في تسليم.. دون توقعات أو شروط مُسبقة..

....

وقد يتلَهَى الإنسان بالنظر إلى الجبال من حوله وتأملها دون أن يشغل نفسه بالنظر إلى تضاريس نفسه التي تسكن جوانحه..

فالأنفس الإنسانية تُماثل جبال الجليد في تعقيد بنيانها وغياب معظم ملامحها في تشعبات تمتد لأعماق سحيقة يصعب سبر غورها.. ولا يمثل ما نعيه من بنيانها إلا قمم تلك الجبال..

....

لو نظر الإنسان إلى نفسه تماماً كما ينظر بكل تسليم إلى جبل جليد شامخ يختفي معظمه تحت مياه الحياة المتقلبة التي تنخر في طبقاته...

لو أدرك الإنسان أن مفردات عقله الباطن تشكلها صراعات لا أول ولا آخر لها.. ثم أيقن أنه يملك تماماً المقدرة على مواجهة تلك الصراعات وحسمها بما فيه صالح أمره في تلك الحياة...

فسوف تنفتح له أبواب الرؤية لمراد الله في خلقه، على صورته التي لا توجد منها في الأكوان نسخة أخرى تتطابق معها..

وسيتعلم حينئذ أن النظر إلى شمس الاستنارة الكونية التي تشرق على وعيه ووجدانه من خلف جبل جليده لن تؤذي البصر..

حينئذ.. سيري..

....

يزول الإنسان.. بينما تبقى الجبال رمزاً للسماوية بارتفاعها.. وللثبات الراسخ الذي يحظى به المؤمنون في الدنيا..

متى رأيت الله؟

بقلم: محمد جمال الدين حسن

الآن أجلس أمام نفسي لكي أتكلم معها عن الله، ومتى رأته، وعن معانيه التي تكونت بها... ولكن يبقى سؤال واحد سيحدد كل ما سيأتي: هل حقاً رأيت الله؟

دائمًا ما أبحث عن إجابة شافية لذلك السؤال بداخلي، ولكي أصل إلى إجابة احتجت إلى رحلة بحث طويلة بين مراحل النفس والحياة، بين أفواه المتكلمين وعيون الصامتين.. وبين مشاعر المتحابين وصدق المريدين... احتجت «نفسي» لكي أصل بها إلى نفسي أيضًا! احتجت كل بسمة تضاهي قلبي وكل عقل يحن علي فكري.. احتجت إلى أذن تسمعني وعين تطمئنني.. كنت أسأل عن الله، ولا أجد من يفك غموض أفكاره!! بَتُّ متفلسفًا مستعرضًا لمهارات الحديث عند من يعلم ولا يريد أن ينقل علمه إلى غيره!! بَتُّ شابًا صغيرًا لا يفقه!! بَتُّ الشاب الملحد عند البعض، والمؤمن عند آخرين، والمنافق عند المتشددين، والباحث عند القليلين، والطائش عند المسنين، والمتفلسف عند بعض، والمغضوب عليه عند بعض، والمتمكن منه الشيطان عند آخرين، والمنهمك في أمور الدنيا عند بعض... بَتُّ كريشة طائر سقطت من جسده، فكان ذلك الجسد هو الحياة التقليدية التي تقول: «ممنوع الأسئلة عن الله، ولا تفكر لكيلا تكفر»!! أما أنا فكانت الريشة التي كلما وجهها الهواء إلى مقصد مختلف لم تسلم من الحكم وإطلاق الألقاب والتصنيفات عليها!! أطيّر مع الهواء، ولكنني أريد الوصول إلى موطن أستقر عليه، تجردت عن مختلف الآراء لكي أصل إلى تلك الحقيقة.. كنت أصرخ فيمن حولي: «كفاكم عنادًا وأحكامًا، وقولوا لي: أين ومَن الله؟»

وهل أنا المغضوب عليه منكم، لأنني أريد الوصول إلى بث الروح والاطمئنان لقلبي ونفسي وعقلي؟

وفي الحقيقة ليست تلك رحلتي بمفردتي، ولكنها رحلة جيل كامل عكف عقله على طرح المسائل الوجودية بداخله، ليلحد البعض، ويصمت البعض، ويقرر محاربة نفسه من أجل قمع تلك المسائل بداخله خوفًا من المجتمع! بينما ذهب آخرون إلى اختراع مذاهب فكرية عن الله والدين بداخلهم، وأقر البعض الآخر بنظرية «العيش والسلام»، وهي الإقرار بالتقليد لمجتمعهم وعدم الخوض في تلك المسائل!! وجدت مؤلفات عديدة وعلماء وأفاقيل ومناقشات ومنازعات فكرية

وأخرى فلسفية، فعكفت على بعضها لتبوح لعقلي وفكري إلى أن وجدتني تائهة في بحر عظيم من الأطروحات والفلسفات والأفكار والإشكاليات عن حقيقة الله وعن حقيقة الكون وفلسفيات الوجود والنظريات الميتافيزيقية...وهنا وجدت الله بين كل ذلك.. ووجدته بين مواضع البحث.. بين مواضع الضعف والقوة.. بين كل تلك الفلسفات والمنازعات والأفكار التي تثبت باليقين أن كثرة الاهتمام بذلك الأمر العظيم والبحث عن «الإله» يقتضي حتمًا وجود ذات مطلقة في الغيب؛ صدر عنها الكون والوجود وأن تلك الذات الأزلية القديمة العظيمة خفية عنا.. ولكن حقيقتها والعلم بها تنكشف بداخلنا، وهنا يتحقق معنى «الرؤية».. فبال تأكيد لا أقصد من معنى الرؤية هنا الإبصار، ولكن «الرؤية» التي أقصدها هي انكشاف الحقيقة بداخلنا والتمسك والسريان على طريق معرفة الله.. فهي علاقة رابطة بين حواس النفس والفكر.. علاقة عاشق بمعشوقه.. علاقة تثبت بشكل مستقل لا نعلم من أين.. ولكنها تثبت وتسكن نفسك وتهدئ من فكرك وتنير قلبك... علاقة داخلية تقول لك: إنك لم تنتبه إلى حقيقة الله وسط بحور أفكارك! فهو إله، والإله يجب ألا يحيط به عقل بشري لجلاله.. وإن مجرد تفكيرك بذلك هو دليل على وجوده، فكيف يُتصور لعقل بشري مخلوق أن يصل إلى حقيقة خالقه، فإن تفكيرنا في الله والبحث عنه هو أهم دليل على وجوده، فمن أوجد كل تلك الطاقة البحثية والمعرفية بتلك الحرية الكبيرة...بالطبع هو إله حكيم خبير يعلم ويزرع تلك الطاقة في روح ونفس محبيه.

هنا استقرت نفسي، وبدأت رحلة بحث جديدة عن «الله»، ولكن تلك المرة ليست للبحث عن ذاته، بل للبحث عن جماله ومعانيه... هل تذكر حبيبتيك حينما وقعت في غرامها فأردت معرفة كل شيء عنها لدرجة تجعلك تتأمل في مسامها؟ تريد ذلك لأنك تحبها، فما بالك حينما نحب ونعشق «الله»؟ بالطبع هو حب يختلف عن ذلك الحب البشري، ولكن حقيقة الحب هي أصل كل شيء.. هي المحرك والباعث

الداخلي.. هي وعاء استقرارك وثبات أفكارك ومحل راحتك.. هي أسرع طريق يصل بنا إلى «الله».

حينما تُؤفِّي أي ولم أتجاوز عشر سنوات رأيت الله في طمأنة قلبي، ولم أكتشف تلك

الحقيقة إلا الآن، فهو لم يتركني أبدًا في أية لحظة.. رأيتَه في لحظات الضعف والأم.. رأيتَه في كل ما هو جميل حولي؛ أبدع في صنعه للحياة، فكم مرة زارت عينك مشهدًا من مشاهد الطبيعة من شروق، أو بحار، أو خضار في غابات، أو إبداع في صنع الإنسان، أو إبداع في تركيب عقل بشري يفكر، فيبني، فيخترع، فينير الحياة!! أتري كل ذلك الجمال؟ فما بالك يا صديقي بجمال من خلق الجمال؟!

مهما طال الكلام وكثر فلن يكفي عن «الله»، لأن الكلام عن الجمال ومنبعه لا ينتهي أبدًا، ولكن إذا أردت يا صديقي الوصول، فعليك بالتجرد من كل الأفكار، واترك لنفسك حرية البحث بداخلك، ولا تعاند مع نفسك أبدًا، ساعتها ستصل، وستجد الله بداخلك وستريد لكل من تحبه أن يصل إلى تلك الحقيقة مثلما وصلت.. وأما عن طريق السير إلى الله فهو لا ينتهي أبدًا، وما دمنا عليه سائرين فسنتكشف معاني أكثر إبداعًا وعمقًا!!

العاشق

بقلم الروائي: محمد سامي البوهي

وأضاء المُحيا حياءً بحنايا العشق، فارتفعت الروح تطوف حول مُحياها، فضاقت بها الأرضون بما رحبت، وصارت السماء لها متسعًا. فالروح إذا ارتفعت سجدت، وإذا هبطت سُجنت، وإذا نُثرت اندثرت، وإن مالت مَلَّت، وإن اشتاقت رانت، وإن تلهفت برقت، وإن أحبت استكانت، وإن كرهت سقطت، وإن أُصيبت زهدت، وإن صعدت نجت، وإن بقيت فويت، فانظر إلى الكون حيث يسكن الله في كل مكان كان ولم يكن، واختر لنفسك مهرَّبًا من الناس تفر به إليه، تَحَدَّثُ معه كثيرًا، فهو يسمعك... وهو وحده من يملك كل الحلول، وهو وحده من يغير ولا يتغير، وهو وحده من يبتسم لك، ويحنو عليك، ويأسرك لتكون حرًّا بأفكارك.

والأرواح رزق للأجساد، تتعجل للتقاطه، فما بين فرحة ورجاء ووعد يكمن الرزق، أما ما بين الأرقام خواء، فلا تحزن لفراق كُتب له الفناء، وافرح بلقاء أبدي لا ينقطع فيه رزق قط.

كيف تضع يدك على قلبك ولا ترى الله داخلك؟

ليس في قلبك سوى مهجة كلما رانت راقبت، وكلما تجددت عادت، وكلما عشقت زادت طمعًا، لكن إن أصابها سوادٌ سَلَمَتْ نفسها للمطر، فصعدت.. صعدت إلى حيث المنتهى الأول، وليس الطريق وحده ما يأخذك إلى حيث المنتهى، فهناك من الطرق ما لا ينتهي، لكنه النور وحده ما يجمع كل النهايات.

العين ترى ولا تؤمن، فترى النور ولا تضيء، وترى الظلام ولا ترى ما يستره، لكن القلب يرى كل شيء ولا نراه.. ولكنه وحده من يؤمن بما يراه ولا نراه، وإن الشر لهو خير لمبتغاه، أما الخير فهو خير حتى أمد الدهر، فلا الضر يأسرك أبدًا، ولا بالنع أنت نبي مرتجى، أما إذا ساورك الشك فارفع يديك إلى السماء كي تحملها عنه، فانظر إلى أعلى دائماً، حيث ترى بين خطوط الكون طلاسسم السمو، ولا تخفضها حتى تؤمن بأن موسى قد غفل فهوت القارورات من بين يديه وانكسرت، لكن عين الله لا تنام، وما بيديه لا يهوي أبدًا إلا بأمره، والروح تواقفة، فأطعها، فهي النجاة التي تأسرك لتطرق أبواب الجنان، فاركض برجلك نحو الحيوان الأبدي، فهناك ستجد ما يحملك إلى حيث قُدِّرَ لك، وابتسم لذنوبك لأنها قد فارقتك بارتكابها، وتعلق بالحسنات لأنها سترفعك إلى السماء، واقبض على قلبك لأنه عن المعاصي مُنَرَّةٌ، وَأَزْهَدٌ حواسك لأنها شاهدة عليك يوم اللقاء، ولا تبتئس من المآسي، فهي كماء عذب يُخَفَّفُ به منقوع من الملح.

فاخفض روحك دائماً كي تصعد، واصلد دائماً ولا تقاوم، وقاوم دائماً كي تصعد، اصعد.. اصعد.. اصعد، فستحملك أوجاع زهدك، وانصب لنفسك مأمناً في الدنيا، لتكون مطمئناً في الآخرة..

اصعد..

لا تخش الارتفاع بنظرك لمن فارقتهم، فهم راحلون مثلك، كلُّ إلى حال مصيره المنتظر، وإياك من التعلق بنظرة تثقلك، فقط هي روحك التي تجذبك نحو المنتهى، فاصعد.. اصعد.. واسعد بمن يتلقفك في الجنة.

اصعد..

ففي الصعود سمو، وسموك قد سبقك إلى هناك قبل أن تولد أنت، فروحك كتب لها النجاة قبل أن تخطو بعملك، فاقترب ذنبك المستقيل، ولا تحزن لفراق الخير، فعثراتُ تقويك إن أدركت الطريق، وطريق يأخذك من طريق إلى طريق، حتى تتقاطع كل الطرق، وتبقى روحك تطوف سبغاً حول نقطة التلاقي، فإلى ربك المساق، وعند ربك أنت تُرحم.

اصعد..

ولا تبتئس، ففي صعودك حياة، لم تعيشها بعد، أما دنوك فيحمل حياة عشتها قطعاً، وانتهت، وتركها شئت أم أبيت، فلا مخلص في حياة زائلة، ولا زوال إلا بعد أمر، ولا أمر إلا وتبعته طاعة، ولا طاعة إلا بقناعة، ولا قناعة إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بمشيئة، ولا مشيئة إلا بما شاء، فاصعد.. اصعد ولا تبتئس، ففي صعودك حياة لا تنتهي..

اصعد..

اصعد..

فأنا العاشق الذي غضضتُ الطرفَ عن الأسباب، وتعلقت بصاحب كل سبب، فأتبع سبباً، وانساب قلبي في سبت من العطر، فتسريت من أوجاعي تنهيدةً عشقٍ هبَّت على وقعها الأزهار

وارتفعت أسراب الذاكرين تطلب من صاحب الأسباب من كل سبب سبباً.

فما أجمل العشق الإلهي المفعم بالنور الذي يشع من قناديل الأولياء، فيصبح الكون كله أمام عينيك مضيئًا بالتسايح، والذكر.. وتتنزل عليك أجنحة تحملك إلى حيث لا تعلم، فتعلم أن هناك قلبًا يسكنك يشواق، وتتعلم رموزًا، وأسماء يشكلها السحاب في الآفاق، لا يقرؤها سوى أنت، ولا يبتسم لها سوى أنت، ولا ترسم سوى وجهك أنت، فلا حائل بينك وبين علمك بمنعك، ولا حاجز يجبر داخلك كذنب كبير يأسرك في دوامة اللائمين، فتظل راضيًا، مرضيًّا، ترفع يديك بالدعاء وتستجير، فيهتك يقينك ستر الريب، وتأخذك روحك إلى حيث يسكن الأنبياء في السموات، فسماء لعلم هو لك، وسماء لشفاء هو لك، وسماء لبرهان هو لك، وسماء لمعرفة هي لك، وسماء لحكمة أتتك، وسماء للنجاة منك، وسماء أخيرة هي أنا وأنت، فَرِدْ من عشقك عشقًا به تشواق، فليس للعاشق سوى فؤاد واحد يجلس به مع الله حينما تنفض من حوله المجالس، حيث لا وجود لغبار تركته أمم خلفها، ولا وجود لكلمات تصرفك عن تمام الكلام، ولا وجود لأسرار سوى سر بينك وبين صاحب السر الكبير، فاعشق.. اعشق.. وزد من عشقك عشقًا؛ ترتفع، فأنت عالم فسيح، يسبح في عالم أكبر، من فوقه عوالم أكبر، يرى، فيرى ما لا يرى، ويسمع من داخله ما لا يسمعه إلا هو، فيهيم في الملكوت يبحث عن اللاشيء، ويرتجي نظرة منه، وعفوًا، ورحمة ومغفرة!

اللّٰه في ذاتي .. وذاته في قلبي

بقلم: محمد مندور

رؤية الله ليست مادية.. فهو مَنْ هو.. ذات عليه؛ ترقى فوق كل ما يخطر ببالك، على الأرض أو في السماوات. ذات الله تتجلى في خلقه، ففيها تراه.. ترى صنعته، وإبداعه، وجماله... ذات الله في أنفسنا وخلقنا، وإذا قَدَّرَ لنا رؤيته أمكن لنا كل شيء ومكنا من كل شيء.

رؤية ذات الخالق لا يحدها كلام ولا مقال ولا كتاب، فالخالق في قلوب رعيته ملك على كرسي الروح؛ يحكم ويتحكم في تصرفات المخلوق، فأنت إذا جعلت الله في قلبك كان الله يَدَك التي تبطش بها، ولسانك الذي تتحدث به، ورجليك التي تمشي بهما...

الوصف أدنى من الواقع الذي تكون عليه إن رأيت الله، فالمسألة هنا خارج حدود المنطق والعقل، فقط أمور لا يحسها سوى القلب... لذا فالله وذاته وقدراته العلية لا يسعها سوى مكان واحد.. هو قلب مؤمن.

يرى المُكفِّرون أو الكافرون في كلامنا هذا خروجًا عن العقل أو الدين، لكن كلاهما ينطبق عليه القول: «من لم يذق لم يعرف».

ليس من ذاق كمن عرف.. هكذا أو من أن رؤية الله تكون في تجلياته على عباده، وإحساس المخلوق أن ربه بجواره؛ يشعر به، ويراه، فهو ليس كمثل شيء. ومن ثم فإن رؤية الله ليست بالطبع كرؤية المخلوقات. هو الله القريب من عباده، يعلم ما في سرهم.

فقد رأيت الله وذقت حلاوة لقاءه، في صلاة تقربًا إليه، أو في توبة بعد معصية، رأيت دلالات قبولها وقربه إليّ.

نعم، رأيت الله عندما كدت أشعر أنني كفرت بنعمه علي، فبكت عيني من خشيته، وارتعش جسدي، وانهمرت الدموع، وقتها شعرت بقرب الله.. تُبَّتْ إليه وكأني أراه.

تكررت رؤيتي لله في كل مرة تنزل عليّ تجلياته، كلما حمدته على النعماء، أو استنجدت به في شدة.

رؤية الله هنا ليست كروية المخلوقات والأشياء والنبات والجماد، فالرؤية لمن يشاهد بالعين والبصر ليست كمن يشهد بالقلب والبصيرة، المسألة ليست حسية، ولكن إحساس وإيمان بأنك ترى الله بقلبك.. فهو القائل: «لم تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

فمن كان الله في قلبه أيخاف أو يخشى أي شيء؟ إن كان حبيبك الخالق أحتاج إلى رعاية المخلوق؟ هو القادر على أعدائك والواقف بجوار أحبائك.

رؤية الله ثقةً فيه.. حبُّ له.. تَخَلُّقٌ بصفاته.. تقربٌ إليه بما يجب.. بمناجاته في كل وقت.. بحب من أحب.. ألاً تخافه بقدر ما تعشق ذاته.. أن تكون له فيكون لك.. أن تصبح أنت هو.. أن تذهب إلى طاعته فرحاً وطوعاً وولعاً وشغفاً بلقائه... حب الله بداية الطريق لرؤيته، والسبيل لبلوغ المنى.

حب الله في معاملتك مع خلقه في حبه لذاته.. طلباً لرضاه وتقرباً إليه.. حب الله ليس فقط عبادته ولكن تنفيذ تكليفاته، أن تكون في عون خلقه كما هو في عون عباده.

اذهب واجلس مع نفسك.. استدع ذات وصفات الله في نفسك.. وانظر ماذا سيكون.. هنا سأسألك: هل رأيت الله؟

رأيت الله

بقلم: د. محمد نجيب عبد الله

يرى الإمام العارف قطب زمانه محمد بن عبد الجبار بن الحسن النَّقْري -كأي صوفي لا يشغله سوى الله، ومعرفته، وطرق الوصول إليه، والسباحة في تيار نوره الصافي، الذي ليس كمثلته نور- أنه لا طريق إلى ذلك سوى بالتجرّد عن النفس والجسد، والانخلاع من النفس والجسد، إذ يقول له ربه: «أنا الله لا يُدخَل إليّ بالأجسام».

هكذا مررت أنا -أبعد الكائنات عن التجرد- بتلك التجربة الفريدة في حادثة وفاة وشيكة لصديقة عزيزة لم تتوطد علاقتي بها سوى منذ فترة قصيرة، فعلمت عنها وعن ظروفها الشخصية ما يثير الغثيان عن سخف البشر أحياناً حين يظنّون أن أنفسهم الضعيفة الهزيلة بمنأى من انتقام الله حين يشاء.. فطليق هذه الصديقة العزيزة كان النموذج البشري الصرف لنكران الجميل والتنصّل من المسؤولية، بل واشتهاء الأذى للآخرين بشكل ربما استقاه من إبليس شخصياً ذات يوم!!

لم يكن هذا هو الأمر، بل إن الظروف لم تترك هذه الصديقة في حالها حين أصابها المرض، وصارت تعاني الشحوب والأنيميا بشكل استوجب معه أن يتم علاجها بعقار الحديد السائل عبر المحلول الوريدي، وهو أمر -لو تعلمون- خطير. بالطبع لخبرتي الطبية فقد قصدتني الصديقة تلتمس مني المساعدة، وقد طمأننتني أنه قد سبق لها أن «علّقت» محلول الحديد عدّة مرات قبل الآن، ولم تحدث لها مشكلات، ولكم كنت واهماً حين اطمأن قلبي وعقلي إلى مبلغ علمي! ولم أكن أعلم ما يقوله النفري عن كون العلم مطية ودابة؛ تركبها لهدفك.. وأخطر الخطر أن تدعها هي التي تركبك وتقودك، وتجعل من نفسها هدفاً لك!!

أخذت كل الاحتياطات، فأعطيته جرعات وقائية من مضادات الحساسية والكورتيزون، جعلت المحلول بطيئاً وغطيته، كيلا يتفاعل مع الضوء، بل واختبرت جرعة صغيرة منه في البداية قبل أن أشرع في وضع كمية المحلول المطلوبة لها، وعلى مدار ساعات ثلاث كان الأمر هادئاً والبحر صفحته رائقه، كأنها بشرة طفل رضيع، حتى بدأ الأمر كلّهُ بشكل متسارع، اشتكت الصديقة أولاً من إحساس بالغ بالفوران، أعقبه هرش شديد وطفح جلدي، أسرعت بإعطائها العقاقير اللازمة وأوقفت المحلول، إلا أن التفاعل المتسارع كان قد بدأ، وقتيل القنبلة الموقوتة اشتعل، لم يستجب الجسم لمحاولات العلم، فتسارعت نبضات قلبها إلى حد مخيف، بدأت تشكو من آلام مبرحة بالجسد وخصوصاً بالصدر، بدأت في التوتر مع مساعدتي بالعيادة، وأنا أفكر في أطفال ثلاثة بلا أب ينتظرونها بالمنزل، حقنة تلو الأخرى عبر أوردها عدل الحريق يخمد، لكن هيهات هيهات، سبق السيف العذل؛ بدأت كل مؤشرات الحيوية في

الانخفاض، ونسق نبضها يختل، ثم توقفت عن التنفس، وخمد نبض قلبها.

فترة صمت قاتلة، ربما لأنها لحظة صمت الموت حين يتمكن من فريسته!

أبدأ في صراع محموم مع المحتوم، تنفس صناعي، أضغط على صدرها في قوة وحسم، مساعدتي تضغط حقيبة «الأمبو» التي تدفع بالهواء دفعًا إلى رئتيها، لا نبض!! لا حياة!!

الدمعة المتحجرة لا تنزل من مقلتي، والشلل يشمل أطرافي..

من أعمق مكان في روحي أصرخ:

«ياالله...» «ياالله...الله...»

تختفي الصور والمعالم من أمام عيني، لا تُجدي الحواس والمنطق وأنت في المعية، لا يجدي التحليل العقلي ولا الأدوات المعملية في إدراك العالم الإلهي، فلا بد لك من الخروج من ذلك الجسد العاجز، القاصر، الذي يبدو كسجن للأرواح.

لا أسمع بكاء مساعدتي ولا انهيارها..

أشعر ببرودة بالغة، إذ يشملني الضوء القاهر كقنبلة من فيض النور..

«ياالله...الله...الله...الله...الله...الله...الله...الله...الله...الله...»

في لحظة أستعيد سمعي، وقدرتي على الإبصار، بل وشعوري بالإرهاق العضلي والنفسي، ليختلج الجسد الساكن تحتي اختلاجة خفيفة، يعقبها سعال الشهيق الأول، ثم ارتعاشة عينين كجناحي فراشة رقيقة، فدموع صامتة من عينين تتفتحان ربما للمرة الأولى لتمارسا الحياة!!

عادت صديقتي من الموت!!

وأنا شملني فيض النور!!

الآن أجلس على الأرض كأبي بشري عادي، جسده من طين، وروحه سر من أسرار الإله
لأمارس البكاء!!

انفلاح وعلاقته بالقوة العليا

بقلم: محمود الديدا موني

«أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»

صدق الله العظيم

منذ الصغر وأنا على يقين بوجود قوة تحركنا جميعًا نحو أقدارنا، هكذا تربيته.. تسير الحياة، لم يشغلني كثيرًا ما يحدث من حولي.. فهي أقدار مكتوبة.. ولا بد أن يؤمن الناس بأقدارهم.. وإلا فسيعد ذلك كفرًا.

نعم، آمنت بتلك القوة الخارجة، من خلال القراءة في كتاب الله وصحيح البخاري والاستماع لإذاعة القرآن الكريم.

حتى جاءت اللحظة التي تجلت فيها تلك القوة على لحظة عايشتها: كنت قد زرعت فدانين من القطن، واخضر القطن، وشارف على النوار.. كان منظره غاية في الجمال.. فعلت كل ما من شأنه أن يجعله ينمو.. السماد والمبيدات.. الري بنظام دقيق... بالفعل كان كل شيء يشي بأن الأمر يسير على ما يرام..

غبت يومين فقط لظرف طارئ عن زيارة الحقل... وأثناء العودة مررت للاطمئنان.. الأخضر الذي تركته.. كأنه أوراق الذرة عند الحصاد؛ جزعت جزعًا شديدًا.. ماذا عساي أن أفعل؟

لم أنم ليلتها.. مع أول شقشقة للضوء كنت بين عيدان القطن اليابسة التي أكلها الدود.. تمرر يديك عليها.. كأنها ذر التراب!

أي لا يزال في حيرة من الأمر.. لم نقصر في شيء.. جلسنا وسط الحقل.. الديدان تتعالى أصواتها.. كأنها تنهش في قلوبنا.. سلمنا الأمر إلى الله!

وأشار أبي أن نحرق الأرض ونجهزها لزراعة محصول آخر..

وكان القطن بالنسبة لنا-الفلاحين- في ذلك الوقت طاقة الأمل..

الفلاحون يمرون علينا نسمع ممصصة شفاههم.. ودعواتهم بأن يعوض الله علينا..

قلت لوالدي -وكلي يقين أن تلك القوة التي نؤمن بها سيكون لها القول الفصل:-
أبي، سوف نرش الأرض بالمبيد.. رشة أخيرة.. نأخذ فيها بالأسباب.. قال: افعل ما

تراه.. توجهت بنظري إلى السماء ولم أنبس ببنت شفة.. بينما يصرخ قلبي: «يا الله»..

قمت برش القطن بمبيدٍ لا زلت أتذكر اسمه حتى الآن.. أعتقد أنه لم يعد موجوداً..
(Reldan).. ساعة بعد ساعة، والأصفر يتحول إلى الأخضر.. حتى اكتسى الحقل
بالنضارة!!

في هذا العام.. كان المحصول قياسياً.. لم نعهده من قبل.. لم يتكرر.. لكنني أيقنت بأن
القوة التي لا تضاهيها قوة هي من فعلت هذا..

طببات لا تنتهي

بقلم: مروة رفعت

لم تجمعني بأي منهم علاقة حب أو حتى قبول؛ لا أكرههم، ولكنني في نفس الوقت لا أحبهم، يمكنك أن تقول إنني أخافهم أو بمعنى أدق أحاط من التعامل معهم بشكل يسيئون فيه فهمي، فأسبب لهم جرحًا دون أن أقصد، فهو حرج أكثر منه خوف.

ولكن ما حدث في ذلك اليوم حين قابلت واحدًا منهم -من أصحاب متلازمة داون- كان رد فعلي مختلفًا عما اعتدتُ عليه، هؤلاء البشر أصحاب القلوب والوجوه الملائكية التي لا تكاد تنظر إليها حتى تخطفك بابتسامتها، وتحط بك في وادٍ من البراءة والأمل.

كان عمره تقريبًا ثلاثة عشر عامًا، ودون كل الجالسين في مترو الأنفاق ركَّز نظراته عليّ، رغم أنني لم أجلس بجواره، فأنا في أول العربة وهو في منتصفها تقريبًا، ولم يكن هناك زحام كالمعتاد، تبعني بنظراته منذ أن ركبت.. لم يلفت وجهه عني، وكأنه يحمل رسالة إليّ! يختلس النظرات ويتسمم، وكلما نظرتُ إليه زان ابتسامتهُ خجلٌ يجعلها أجمل، تحولت الابتسامة إلى بعض اللعب والتلويح باليد من بعيد، فتحولت ابتسامته إلى قهقهات من الضحك ملأت المكان بهجة وسعادة، ونظرت لي أمه ممتنة، وبادلتها النظرة بابتسام.

بالصدفة نزلنا في نفس المحطة، وتوجهنا إلى نفس الباب الذي ينتصف العربة، وما أن وقفت بجواره، حتى أمسك يدي وضحك، ثم تركها وربت على كتفي بـ «طبطات» أكاد أجزم أنها لامست قلبي وليس كتفي، لا أعرف أين ذهب الخوف والحرج الذي منعني كثيرًا من الاقتراب منهم، ولا أعرف كيف أضعت كل هذه السنين وأنا أباعد عن التعامل مع هذه القلوب!! غاب صديقي وسط الزحام، دون أن أعرف حتى اسمه، ولم أتحدث مع والدته ولو بكلمة، فلم تتصادق على فيسبوك، ولم نتبادل أرقام هواتفنا، ونظرت أختي التي كانت معي في ذلك اليوم وعلامات التعجب على وجهها؛ كيف تعاملتُ هكذا وهي تعلم جيدًا مهابتي من الاقتراب منهم والتعامل معهم!

رن هاتفي وأجبني عليه: ألو هناء..ازيك؟

«إيه يا بنتي من الصبح بكلمك مش بتتردي؟»

لم يئنم صوت هناء عن أنها تحمل أي خبر سيئ، على العكس، ولكن شيئاً ما قبض قلبي منذ أن ضغطت على زر الفتح، وقبل أن أجيها بأي اعتذار أكلمت:

«بصي بقى.. خطوبة عمر أخويا إن شاء الله يوم الخميس الجاي ولازم تيجي، هازعل جداً لو مجيتيش وكمان...»

شعرتُ وقتها بما تركته يدها على كتفي من طبطات، وكأن الـ«فلاش باك» أعادني إلى المكان ثانية، ورأيت وجهه المبتسم، وحنين طبطبه، وأدركت لحظتها أين ذهب الخوف، ومن أين جاءت الطبطة، ربما لم تجمعني بعمر قصة حب، ولم أقلها له يوماً، ولم أسمعها منه... ولكن كل أمنيات هذه الفترة وأحلامها الوردية كانت مختصرة في شخصه الجميل، وحين سمعت المكالمة وتذكرت الطبطات قبل قليل فهمتُ الرسالة: ليس الآن، لم يئن الأوان بعد!

- ألو ألو.. نهى.. نهى، روحتي فين؟ الخط قطع ولا إيه؟

- لا معاك.. مبروك، وربنا يتمم بخير..وهاكون موجودة طبعا إن شاء الله..

لم تكن طبطبه الأولى، ولم تكن الأخيرة، لازال يرعاني، الحب الأكبر.. صاحب الطبطة الكبرى.. ما زلتُ أشعر برسائله تلامس قلبي، ويدركها عقلي حين يأتي القضاء، فيهون بها الكثير من الحزن والألم، وتداوي بها الجراح، «أحبك ري».

لا يتقى من بداخلها أبدا.. هنا مملكة الجمال

بقلم: نجلاء أشرف

يطوف في بلاد الله، وسط خلق الله، تائه.. متعب.. قلبه يثقله ويكاد يسقط من بين جنبيه فيحمله صاحبه ويجره جرًّا ليتحمل ما بقي له من أعباء يومية يفعلها مضطراً كل يوم، لم يعد يتحمل أكثر من ذلك، لم يعد يستطيع حتى أن يتسّم للمارة في الصباح، مات بداخله الشعور بعدما أحرق قلبه الألم، أصبح لا يريد الحياة، يستيقظ كل يوم لينتظر نهايته، تذهب الثواني عليه في عمله كساعات طويلة لها أطراف حادة كالسكاكين؛ كل ثانية تدفع التي تليها وترسم بسنها الحاد لوحة لعمره.. ألوانها باهتة مليئة بالملل والتذمر والاستسلام لأنياب الاكتئاب.. هكذا أصبح أغلب من في مجتمعنا، وهذه حياة من لم يرَ أنوار لطف الله في أقداره، فَتَعَسَّ في وحدته وهو محاط ببداءات الشوق والود والعناية...

لكل منا طريق يمشيه حتى يصل إلى نهايته، وطريق أعمارنا مليء بالمحطات التي قد تغير طريقة تفكيرنا أو قد تغير شعور قلوبنا بما يحدث فيها نتيجة الأقدار المختلفة.. في كل محطة نجد أبواباً كثيرة؛ نحن فقط من نختر أن نفتحها أو نغلقها، ولكل باب مفاتيح خاصة لا يُفتح سوى بالإرادة والنور، منها باب للصبر وباب للهروب والحزن وباب لرؤية جمال الأقدار...

لكل منا أسرار في قلبه لا يعلمها أحد سواه، ولكل منا أوجاعه الخاصة التي تجعله ينكسر وتجعل رؤيته تتشوش، بل وأحياناً يطلب أن يكون الموت خلاصه مما يحمله في قلبه، لأنه لم يعد يحتمل هذا العبء بعد الآن.. أما وقد دخل باب «رؤية جمال الأقدار» فستناديه طيور الحب بأن أقبل ولا تخف؛ هنا نجاتك، وتناجيه نجوم الليل بأنك لست وحدك في هذا الكون، كلنا ها هنا نألئى من أجل أن نؤنس وحشتك ونعرفك أن هذا الكون أكبر من تصورك، وأنه برغم كبره وعظمة خالقه، فإن هذا الخالق يهتم بك أكثر من نفسك، فلا تجعل الحزن يأكل روحك ويطفئ النور بداخلها!

هنا مملكة الجمال لا يشقى من يدخلها أبداً، بل يجد من يشبهه ويساعده على تخطي قبح النفوس المريضة، التي يشوهها سوء الظن بالله وتلبس شيطانه.. هنا ستجد رفقاء دربك الفرسان، الذين يحاربون القبح بالحب، ويملؤون العالم رحمة، برغم ما في قلوبهم من أم.. هنا طيور الحب التي ستعلمك أن تُحلّق بجناحي الذكر والفكر، فذكرك لمحبتك يزيل الأكدار والأحزان من قلبك، وتأمّلك بالفكر في أحوالك وكل موقف يحدث لك يظهر لك سوء ظنك وخوفك من الغد المجهول والحزن على الماضي المقسوم.

تُرى حين كتب الله على قلبك أن يحزن لفقدته شخصاً تحبه، أفعَلَهُ ليحرمك أم ليكرمك؟ تراه يَبْخُل عليك؟ حاشاه، وهو الكريم، وهو من إذا أعطى كل سائلاً سؤاله لا ينقص ذلك من خزائنه شيئاً، أم فعل ذلك ليؤدّبك ويعلمك ألا يكون بقلبك سواه، وألا تشغل سوى ما يصلح؟! ربما هذا الفقد جاء ليميتك فيحييك الله من جديد بقدرته، وهذا القلب الخائف الذابل يموت ليحيا قلب منير بحب الله، لا يخشى شيئاً سوى بُعدة عن محبوبه، مَنْ لم يخلقه إلا ليجعله يتعرف عليه في كل أقداره ليشتاقي أكثر ويحبه أكثر ويطيعه أكثر...

أتذكر حين أعياك المرض مرات عديدة وشفاك، وحين كاد يصيبك سهم الموت أكثر من مرة ونجّاك، فله حكمة في كل شيء، له حكمة في وقت ميلادك وموتك وحتى تيهك، لينير طريق حياتك بأنوار محبته، ويجعل حياتك جنة لأنك ترى لطفه في كل أقداره، فلفظه يجري وأنت لا تدري، وإن لم تَرَ اللطف، فذلك في حد ذاته لطف، فقد لا تتحمل رؤية جمال أنوار اللطف، وقد لا يستطيع عقلك البشري الصغير أن يفهم حكمة المنع أو العطاء؛ قد تصبح غنياً فبدلاً من أن تدعو الله بالستر، تبارزه بالمعاصي، وقد تكون سعيداً فتنسى أنه هو من أسعدك! ولكنه سبحانه يقلب قلبك بين أحوال عديدة لترى الكون به، لتتيقن أن أيّاً كانت ما ستجلبه لك الأقدار فهو رزقك، وهو خير لك، سينصلح به حالك، ويُنقّي قلبك، وإن تهت قليلاً قبل أن تفهم هذا، ما دمت ترى أن الفاعل الحقيقي في هذا العالم هو الله، لم يمنحك أحد سواه، ولم يرزقك أحد إلا.. ليس رئيسك في العمل هو من فصلك من العمل في الحقيقة لتحزن بل ساقه الله ليعطيك شيئاً أفضل أو يحميك من شيء أسوأ، أو لحكمة لا يريد أن يفهمك إياها الآن، وهو لا يُسأل عما يفعل، فهو العليم الخبير؛ لا يُفرض عليه شيء سبحانه.

أنت حر في مملكة رؤية جمال خلق الله، سواء كانت أقدارًا أو مخلوقات أو سماءً تطير فيها الطيور بلا حاجز أو رافع سوى مَعِيَّة الله وتدبيره، عندما تُعوِّد عينيك أن ترى الجمال، لن يُشقيقك القبح بقدر ما سيسقيقك الشوق، لتتعرف على من يتنزل كل ليلة في السماء الدنيا ليناديك ويرحمك ويتودد إليك، ليس عليك سوى أن تختاره، وهو -جل وعلا- سيخنيك به عن ما سواه!

الألم من نفذ الثوف

بقلم: نسمة تليمة

حين نتألم نرى الكثير، فالألم قد يكون المنفذ الأول «للسوف»؛ تستمتع إلى صوت بداخلك يحدثك: «أنت هنا لترى فاصبر»، حين لم تكن تعلم ما هو قادم، لم تكن مستعداً له، تسير في الحياة هائماً، ممتناً لفرحة ما، قَدَّرَ الله وجودها في الطريق، لا تدرك أن الله قد يضعك في تجربة فتحملك إلى عوالم جديدة؛ تبحث فيها عن إجابات تُهدئ من روع عقلك المسكين، قد تكتفي إذا كنت من هؤلاء، ممن يجيد التعلق بالأشياء ويرتب الكون حول من أحب ولا غيره، حينها فقط أمتن للحالة قليلاً، لا تجزع، انظر جيداً؛ عليك ترى ما لا يرى، ما تستشعره بقلبك، ذاك الحضور الأكثر من بهي.. تلك الراحة والاطمئنان اللذين يسكنانك حين تمنع التفكير فيما حدث فتلفتك أرضية التواصل مع السماء..

لا تندهش؛ قد يكون بالفعل هناك تواصل إذا أمنت به، نحن فقط نحتاج أن نؤمن، والإيمان هو تلك الكلمة الفاعلة في مشهد الخوف.. فعل المطر مع الأرض البور.. الإيمان أن تصدق.. أن تسكن قلبك سكيناً اليقين دون الوصول إليه، أن تصعد تلك الدرجة التي لا يراها من حولك، لكنك تستشعرها بقلبك.. تؤمن أنها قطعاً قد وضعها القدير في طريقك..

كنت من هؤلاء، وقد لا أزال على بابه، واصلت الطَّرُقَ على أبواب كثيرة حين فقدت شخصاً عزيزاً، حتى وجدتني أبحث في القرآن عما يحدثني أنا، أنا تحديداً- تلك السيدة الفاقدة لروحها، وغير العاملة بأي شيء سوى رحيل مفاجئ.. رأيت حضوره في قلبي حين وقفت أمام مقام السيدة نفيسة وأنا أبكي حد النحيب وأحدثها عن راحلي، فأستمع إلى تلك الآية التي نزلت عليّ كما لو كانت برداً وسلاماً ليتحول النحيب إلى دموع ممزوجة بابتسامة في حاجة للتصديق حين جاء قوله تعالى «حين جاء قوله تعالى «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» .. رأيت حضوره بقلبي حين هاتفتني تلك السيدة البعيدة عني والتي لم أقابلها، لكنها خفت عن روعي حين أخبرتني عبر الهاتف أنها أمام الروضة الشريفة بالمدينة المنورة وأنها ستترك هاتفها مفتوحاً لأحدث النبي، علني أطمئن في لحظة كنت في أشد الحاجة إلى الرحيل عن الحياة باحثة عن يد الله!

رأيت حضوره بقلبي حين جاءتني ابنتي ذات العامين من العمر لتقبل يدي ورأسي كما كان أبوها الراحل يفعل، وهي لا تدري أنني كنت أحدث السماء منذ قليل عن أي علامة تمنحني السلام!

رأيت حضوره بقلبي حين طلبت من روح فقيدي أن تتواصل معي وأنا على باب القبر، حين أخبرتها أنها ستلاقيني بما اعتادت على لقائي به في الدنيا، فما كان سوى أزهار جديدة نبتت في المكان الذي وضعت به نباتًا في السابق.

حين كنت ذاهبة إلى مقام بعيد، وحضرت في ذهني تلك الصديقة الغائبة منذ فترة، وصوت داخلي: «تذكر يها في دعائك عليها تلد الآن»، وفي الصباح علمت أنها رُزقت بابنتها الوحيدة.

أؤمن بتلك المقولة التي أخبرتنا أن الإنسان ما قال لشيء إنه أحبه وانفعل به إلا ظل أثر ذلك الانفعال إلى يوم القيامة، أؤمن كذلك أن معادلات السماء لا تحمل منطقًا يناسب عقولنا، كل يحتمل يقينًا جديدًا، كل الأشياء والرؤى والحقائق نسبية أمام قدرة الله تعالى، أمام تلك اللحظة التي تصافيه فيها، فيصافيك حق الصفاء حتى تدمع!

نستحضر حضوره في قلوبنا حين يصبح لكل شيء أوان، حين تمعن التفكير في الحدث، فتدبر من حكمته، وحين تصبح عاجزًا عن الحكيم فتلجأ إليه.. حين نتعثر في كتاب يحمل مفاتيح حزنك، أو شخص يرشدنا إلى طريق آمن، حين نتعثر في قصص لا تشبهنا، ولو كنا بداخلها لما احتملناها، فيأتيك الصوت: قل الحمد لله وأرض، فترضى، وترضى...

نراه حين يضعنا في التجربة؛ يجعلنا نرى ضعفنا؛ عله يسمح بشيء من فك طلاسم العالم لدينا، حين يذيقنا حلاوة حبلًا يذوقها آخرون، وقد يأتون إلى الدنيا ويرحلون دون المرور بها، فيحتمل المشهد إنصافًا من نوع خاص، يُثري روحك ويشبعك!

طيف الحبيب

بقلم: نيرة الشريف

يمكنني أن أبدأ بقلب الموضوع مباشرة دون مقدمات، لن أرهق نفسي بالتفكير حول البدء من الرأس أو من القدمين حتى أصل إلى القلب، هل رأيت من قبل هذا الطيف؟ هل شعرت به قريبًا؟ عن طيف الحبيب أتحدث، حبيب رب العالمين والرحمة المهداة للعالمين، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أصدّق الرؤى، تشغل حيزًا كبيرًا من اهتماماتي، أظل أتذكر الرؤى المنامية لأيام، وأبحث عن تفسيرها إلى أن يفسرها الواقع بأحداثه لي، أستطيع أن أقص لك رؤى منامية رأيتها عندما كنت في السابعة من عمري، وحفرت نفسيها في ذاكرتي ووجداني دون أن تستطيع قوة أن تمحوها، وهناك رؤى متكررة على مدى سنوات طويلة، لن أجهّد إذا أردتُ تذكرها، وكانت الرؤى هي مدخله إلى قلبي، لا يتجسد فيها تجسّدًا كاملاً، وإن كان طيفه لا يغادرها أبدًا على مر السنون الطويلة، منذ الطفولة، كنت دائماً ما أرى أنني في الطريق إليه، إلى مسجده الشريف المطهر، وروضته الحبيبة، إما على متن سفينة يتقاذفني الموج، أو في طائرة والرياح خارجها غير مستقرة تعصف بها، مرات أجد اسمه مكتوبًا على شاشة هاتف نقال بدائي - في وقت كانت الهواتف النقالة فيه مستحدثة - وأنه قد أرسل لي رسالة لا أستطيع فتحها، طوال سنوات طفولتي ومراهقتي كانت تتكرر هذه الرؤى.. نفس دقات القلب المتسارعة لأنني في الطريق إليه تائهة، نفس الخوف في كل مرة من عدم التمكن للوصول، ونفس اللهفة والأمل لعل الله يكتب لقاءً.

وذات مرة رأيت أنني أمام المقام النبوي مباشرة، لا يفصلني عنه سوى باب زجاجي، يفتح أحدهم لي الباب ويدعوني للدخول، لكنني أقف مكاني مرتجفة ولا أستطيع التقدم، مررت بعد هذه الرؤية بتجربة ادّعى القائم عليها أنها دينية - ولم تكن كذلك بالطبع - كانت تجربة قاسية وأليمة، لم تروِ الروح، وتركت القلب محملاً بكثير من الجروح والندبات، كنت أتخيل عند بدئي في تلك التجربة أن دخولي فيها تفسير لرؤية الوصول أخيراً بعد سنوات من رؤى «المعافرة» في الطريق، والحقيقة أن الرؤية لم تُفسر إلا بتلك اليد الحانية التي امتدت لئخرجني من تلك التجربة، التي تحولت إلى أزمة عميقة، والتي كنت قد ورطت نفسي فيها حتى الغرق، وعلى باب الخروج وجدت الطيف واقفًا من جديد.

حاولت على مدار سنوات أن أختبر دروبًا من المتعة، لم تكن تروق لي المتع التي تمنحك نفسها لبعض الوقت ثم تنصرف عنك، وظلت المتعة التي تلامني تمامًا، وترووي قلبي ولا تزول، هي متعة الصلاة عليه، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أختبر الصيغ المختلفة للصلاة عليه، أتأمل ما تفعله بعد حين من تكرارها، حين تفصلك عن كل ما حولك، تبعد كل الأصوات تدريجيًا عن أذنك حتى وإن كنت جالسًا في فرح شعبي! تنخرط فيها تمامًا، وتتذوق اللذة، لذة تمنحك نفسها بلا منتهي ولا نهاية، تشعر أن قلبك يرتوي، روحك تُحلق متسامية عن تلك الحياة التي تؤمك قوانينها، كل ذرة بجسدك تصل إلى النشوة حد الارتجاف، عقلك ساكن يستقبل فقط أفكارًا ليس لك عليها سلطان ولا هي من نطاق تفكيرك ولا حيز إدراكك أنت من الأصل! تذوب ذرات جسدك حين تحاول استدعاء الطيف الآن وسط كل هذه المتعة والأنس به، تذوق الآن لذة القرب التي تجزم بقلبك أنك لن تندم أبدًا، إذا أمضيت حياتك كلها لا تفعل شيئًا سواها، «ومن ذاق عرف».

ربنا.. ولك الحب

بقلم: هالة البشبيشي

سلامًا على قلوب كلما قسى عليها الزمان رَقَّتْ!

قلوب أحببت، فتسامحت، فغفرت، فارتقت، فَسَمَتْ...

سلامًا على قلوب لم يطأها عشق مدنس؛ تخلت، فتجلت، فحلقت، في ملكوت لا ترجو منه سواه!

«عرفت الله بالحب»

مَنَعَ ليعطى.. وابتلى ليختبر... يقولون: فاقد الشيء لا يعطيه! وأقول -بل أجزم- إن فاقد الشيء يعطيه، وأكثر! فقد يضعنا القدر في غفلة من أنفسنا تحت رحمة البعض، وهم لا يهتمون بأمرنا.. وقد لا نعيهم أحيانًا، ولكننا -رغم ذلك- ننتظر منهم الاهتمام، ونستجدي منهم السؤال؟ ونلتمس لهم الأعذار إن لم يفعلوا!!

ترى.. هل هو احتياجنا للشعور بالاهتمام؟ هل الضعف يُكسبنا القوه أحيانًا؟ أو هو احتياجنا إلى الحب ذاته؟

القطرة التي فطرنا عليها المولى.. هي الحب، فمن روحه نفخ في بنى آدم، وصار خليفته في الأرض، لتغبطه الملائكة على ما أنعم به الله عليه دونهم!

بعضهم يظهر في حياتنا؛ نلتمس منه أن يكون بمثابة المُسَكِّن لنا من ألم الوحدة أو الفراق أو الألم الناتج من عَرَضٍ ما في حياتنا... وبعض هؤلاء ينتهى دوره بزوال الحالة التي نمر بها كمن تناول جرعة دوائية، وتعافى من المرض، واستغنى عن الدواء... ولكننا بالفعل نحتاج إلى جرعات -ولو بسيطة- على مراحل، على سبيل الفيتامين لمواصلة حياة سوية بلا ألم من الوحدة أو الهجر أو انقضاء العمر!! الحب والاهتمام هو ما نحتاجه جميعًا في كل مراحل العمر.. سواء كنا صغارًا أو كبارًا فإن إحساسنا بالحاجة إلى الرعاية النفسية دائمًا يستوى... دائمًا ما نحتاجه ونشعر به في لحظات ضعفنا الجسدى أو النفسى..

وما الحل؟ ما سبيلنا إليه؟

قربنا من الله

التفاني في حبه.. التماهى مع ملكوته هو الذى يخفف عنا وطأة هذا الإحساس..
يظل لسان حالنا يدعوه ويناجيه في صمت أن يُمَنَّ علينا بتلك النعمة.. نعمة
الإحساس والرحمة من الآخرين لنا ومنا نحوهم...

رقة القلوب لا يعرفها إلا من ذاق طعم الحرمان أو القسوة.. ليس بصحيح أن فاقد
الشيء لا يعطيه، بل هو الأقدر على العطاء، فما حُرِمَ منه يعوضه في إعطائه للغير
أو هكذا أتمنى أنا.. فاليتيم عندما يصبح أبًا تجده حنونًا عطوفًا على ولده.. وفاقدو
نعمة الإنجاب لهم من الحنان والحب والدفء الكثير والكثير مما يستطيعون
منحه لمن يحتاجه عوضًا عن إحساس الأمومة والأبوة!!

لا تبخلوا، ولا تخجلوا من إظهار الحب والاهتمام... لا تترددوا في طلبه ممن أحببتم
ولو بإظهار حُبكم له فقط.. لا تخجلوا من مشاعر حلوة إيجابية تبني ولا تهدم،
ما دامت لا تُغضب الله: ما دمنا لا نعصى فلم نخجل؟

لا تنتظروا من يبادر بالمعروف وإظهار المحبة في أفعاله، وكونوا البادئين.. فالرحمة في
الأرض جزء من مائة جزء؛ احتفظ الله بتسعة وتسعين منها في السماء! فلا تقنطوا
من رحمة الله.. وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء!

هدية الإله

بقلم: هبة أحمد

أؤمن بالإشارات.. أعرف أنها طريقة الله للتواصل، طريقة من لا يتكلم بلسان، ولا يسمع بأذن، وهو عن كل ذلك نزيه! الله يُرسل.. يُرسل نداءاته إلى الوحي، ويرسل الوحي إلى الأنبياء، ويُرسل الأنبياء إلى البشر.. الرسالات هي لغة الله المفضلة؛ يضعها في قلبي أو يُريني إياها في أحلامي، و«الأحلام رسائل» كما قال عنها بهاء طاهر في «نقطة نور».

كنتُ أصلي ذات عشاء، ووضعت في قلبي رغبة نارية لأن أعتصر، هكذا دون مقدمات.. الآن.. الآن أحتاج إلى عمرة.. لا أملك من نفقاتها جنيهاً واحداً! ومن يعرفني يعرف أنني لا أجيد فن الادخار.. حسناً سأتدبر حالي أو بالأحرى سأقترض.

أمام رغبتني التي اندلعت فجأة، لم يجد أبي إلا أن يرضخ، وأن يقرضني تكاليف الرحلة.

وصلتُ إلى أحد فنادق المدينة المنورة، وكان مناسباً لأقضي فيه ساعات نوم هادئة مريحة، كما أنه كان شديد الاقتراب من الحرم النبوي؛ أرى من خلال نافذته - في الدور السابع حيثما قطنت - القبة الخضراء، هكذا دون حواجز.

وَطِئْتُ أقدامي أرض الفندق في الواحدة ظهراً؛ لم أُطِقْ صبراً على الذهاب إلى الحرم النبوي؛ استأذنت رفيقتي في الرحلة أن تهتم هي بالأمثلة وأن تشرف على نقلها إلى الغرفة المقررة، وذهبت أنا إلى الحرم.. ولأن «الغريب أعمى ولو كان بصير» خرجت من باب الفندق أسأل أحد المارة كل بضعة خطوات «لو سمحت.. الحرم النبوي منين؟» لم يَخَفْ على أحد أن هذه هي المرة الأولى لي في المدينة المنورة، رغم أنني أشك أن كل المرات الأولى كانت بهذه التوهة لدى أصحابها، وحدي أنا أتوه وأسأل في مكان كهذا!!!

لم أكن أترك الحرم إلى الفندق إلا مرتين كل يوم: ساعتين بين الظهر والعصر، وساعتين بالكاد من منتصف الليل إلى وقت السحر. مرَّ الأسبوع المقرر لي في المدينة، كما يمر حلم جميل لا يزيد منه استيقاظاً.. وفي يومي الأخير قبل الذهاب إلى مكة طلبتُ منه -الله- أن يختم لي هذه الأيام بـ«هدية»؛ طفلة أنا في مثل هذه الأشياء،

وأتشبت بتفاصيل ربما لا يلتفت إليها غيري، أنا زرتة عند نبيه، وأريد منه هدية!!

٢٤ ساعة تبقت لي في المدينة، وأنا أنظر حولي أبحث عن هدية يرسلها لي كما كان يفعل في الإشارات.. يرسل لي الإشارة تمامًا وقت احتياجي لها، ورأيته هناك.. تقف على مبعدة مني منهمكة في عملها إلى مدى بعيد؛ فتاة تبدو عشرينية العمر، وتنتمي إلى البلاد التي يشبه سكانها بعضهم في جنوب شرق آسيا، تمسك فوطة صغيرة تمسح بها حائط المسجد النبوي من الداخل، تبللها من إناء تفوح منه رائحة المسك وتعود بها ثانية إلى الحائط، عيناها ويدها لا تتحركان إلا بين الإناء والحائط.

حاولت مساعدتها فيما تفعل تبرُّكًا بتنظيف هذا المكان الشريف، لكنها رفضت! لم تكن تتحدث العربية ولا الإنجليزية، لكنها -إيماءً- رفضت! حاولت معها بكل الطرق دون أي فائدة! في نهاية اليوم كنتُ أعاتبه على عدم إرسال الهدية، وأنا التي اعتدتُ منه رقيق الحب والمحابة! وعلى حين شرود مني لمحتُ الفتاة تحمل الكثير من «فوط» التنظيف التي رأيتهما تستخدمها منذ قليل.. نفس اللون والحجم الذي رأيته في يدها، تبعتهما حتى وصلت إلى غرفة، يبدو أنها غرفة الفتيات القائمات على هذه المهمة.. دَخَلْتُ وتركت الباب مفتوحًا خلفها.. تبعتهما إلى الداخل ولم أجدها.. نعم في كل جنبات الغرفة لم أجدها، ووجدت الفوطة التي استعملتها قبل قليل - هي ذاتها- متروكة على المنضدة الموضوعة في مقابل الباب..

أخذت الفوطة دون تردد، وتشممتها ملء أنفي، ثم ظهرت الفتاة من اللامكان، وابتسمت ابتسامة رضا، وابتسمتُ أنا أيضًا.. أخذتُ الفوطة إلى صدري بتشبت كأنها ملكي منذ الأزل، وأوليت ظهري للفتاة وانصرفت.. أنظر إلى السماء بضحكة صافية، ولسان حالي يقول: «هدية مقبولة».

.. ترجمده و مرضاه ..

المحتوى

- الشوف.. رضاه اللامنتهي ٤
- حُب وشيخ وطريق ٨
- يُبيديها ولا يبتديها ١١
- رأيته في اللطف ١٤
- لن تراني ١٨
- المتجلي ٢١
- الآن يبتهل ٢٥
- تدركه القلوب ٢٩
- هو من رأني ٣٢
- الرؤية ٣٤
- بصر من حديد ٣٧
- حُب الله ٤٠

المحتوى

- خواطر حول الجبل ٤٣
- متى رأيت الله ؟ ٤٧
- العاشق ٥١
- الله في ذاتي.. وذاته في قلبي ٥٥
- رأيت الله ٥٨
- الفلاح وعلاقته بالقوة العليا ٦١
- طبوبات لا تنتهي ٦٤
- لا يشقى من بداخلها ابدا ٦٧
- الأم منفذ الشوف ٧١
- طيف الحبيب ٤٢
- ربنا.. ولك الحُب ٧٧
- هدية الإله ٨٠



مؤسسة عابر للنشر والتوزيع